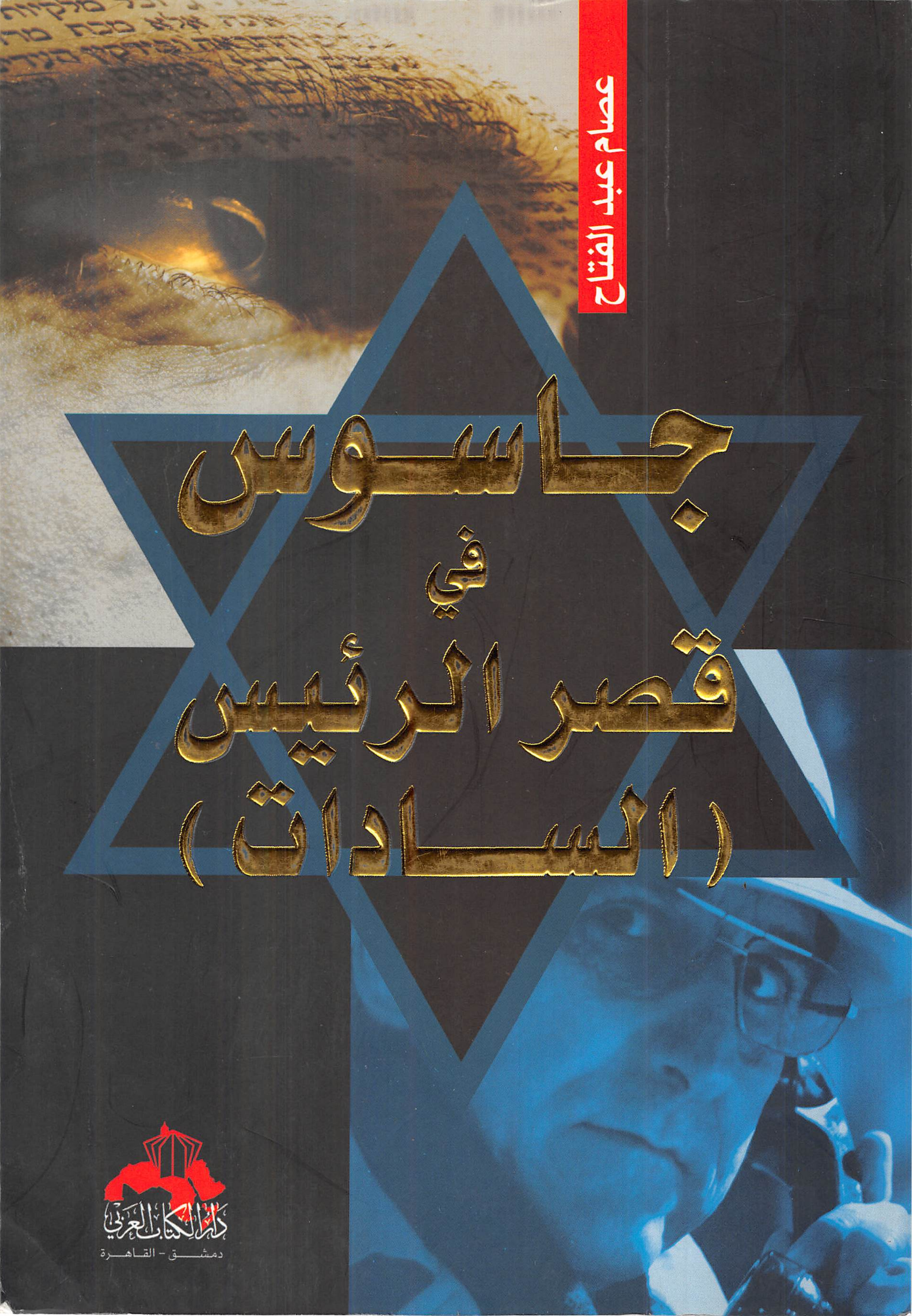

عصام عبد الفتاح
جاسوس
في
قصر الرئيس
(السادات)
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

...إذن فعلها المـوســاد..

ونجح فى اختراق مؤسسة الرئاسة فى مصر أثناء فترة حكم الرئيس الراحل أنور السادات.. ليس هذا فحسب!!.. إنما كان وسيلتهم لذاك الطبيب الخاص للرئيس نفسه.. ذلك الرجل الذى كان صديقاً مقرباً للصفوة من رموز الحكم والمجتمع فى مصر خلال حقبة السبعينيات وهو د. على العطفى.. بل كان أكثر من مجرد طبيب تدليك وعلاج طبيعى بالنسبة للرئيس الذى كان يضع فيه ثقته المطلقة.. والحقيقة أن الرجل الذى يمثل بالنسبة للمخابرات الإسرائيلية قمة النجاح فى صراعهم الأبدى مع نظيرتها المصرية.. تحول إلى أسطورة هلامية نفختها أكاذيب الموساد.. وعظمتها بأوهام وادعاءات لا أول لها.. ولا آخر.. لعل أخطرها.. وأكذبها فى نفس الوقت هو ما حاولوا الترويج له من أن العطفى كان وراء موت عبد الناصر.. وأنه الذى قام بتسميم جسده بكريم خاص يحتوى على سم بطيء لا يترك أثراً..

.. وغيرها من عشرات الأكاذيب التى طالت الرجل وحاولت أن تجعل منه أسطورة وهمية..

وهنا.. ومن خلال هذا الكتاب نقدم للقارئ لأول مرة الحقيقة الكاملة من واقع ملف قضيته التى حملت رقم ٤ لسنة ١٩٧٩ أمن دولة عليا.. ومن خلال شهادة بعض من عاصروا الرجل.. وارتبطوا معه بعلاقات خاصة عن قرب دون أن يعرفوا حقيقته..

W.Salama 010 15 17 873




I.S.B.N. 977-376-350-1
9789773763503



دمشق - القاهرة

جاسوس

في

قصر الرئيس!!

◆

عصام عبد الفتاح

◆

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

اسم الكتاب: جاسوس فى قصر الرئيس

اسم المؤلف: عصام عبد الفتاح

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد -حسام الكاشف

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٥٢٧٣/ ٢٠٠٧

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-349-8

التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

الطبعة الأولى

٢٠٠٨



URL: http://www.daralkitab.net

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥

مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢ - ٢٣٩٢٣٦٧١

لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات

E-mail: darkitab2003@yahoo.com - daralkitab-nassif@hotmail.com

--جاسوس في قصر الرئيس !!

إهـــداء

إلى روح الرجل الذى سطر بعبقريته الفذة

سطوراً من نور في سجل بطولات المخابرات المصرية ..

إلى " نديم قلب الأسد "..

اللواء .. محمد نسيم ..

عصام عبد الفتاح

وصل بحالنا الزمن ..

بدل اغتصاب الأمل ..

بقى اغتصاب للوطن ..

من الخونة .. والفاسدين [1]

(١) من قصيدة للشاعر مدحت العدل.

المقدمة

الجاسوسية هى ثاني أقدم مهنة عرفها الإنسان ..

وستظل أكثر المهن تشويقاً وغموضاً ..

ومن جيلٍ لجيل .. ومن عصرٍ .. إلى عصر .. تتغير قواعد اللعبة .. بينما تظل ملفاتها منطقة شائكة .. تصيب كل من يقترب بقلمه منها بالحيرة الشديدة

فحقائقها دائماً منقوصة ..

ووقائعها تختلط فيها البطولة .. بالخيانة ..

وغالباً ما ترفع الحقيقة فيها شعار " إلا قليلاً " .. فى وجه الباحث عنها بين ثنايا الأوراق والملفات القابعة تحت لافتة " سرى للغاية " التي ترتفع فوق أرشيف خاص داخل أروقة كل أجهزة المخابرات العالمية ..

فملف أي عميل مخابراتي .. أو أية عملية مخابراتية هو علاقة شديدة السرية.. والخطورة بين أطرافها ..

ومع .. أو ضد .. تسير خطوات اللعبة .. وتتأرجح الحقيقة .. وتبقى دائماً منقوصة فى الغالب حرصاً على مصالح ما .. تحكمها علاقات متشابكة .. حتى بعد مرور سنوات وخروج الملفات للنور .. والسببُ هو أكلاشيه تتكرر بصمته من دولة لأخرى.. ومن جهازٍ لآخر .. يطبع إجابة واحدة .. وهى أنه مازال هناك بعض المسؤلين فى مناصبهم يجب أن تبقى أسماؤهم فى طى الكتمان .. ومصالح قائمة يجب أن تبقى كذلك ..

وفى النهاية تخرج الوقائع ناقصة .. أو معدلة ..لتبقى دائماً حقيقة" إلا قليلا" ..
لذا يبقى دائماً القالب الروائى الذى تمتزج فيه حقائق ملفات المخابرات الجافة والمنقوصة .. بلمحات خيال الأديب .. هو أفضل الأشكال الأدبية التى يمكن للكاتب أن يصيغ من خلالها ملفات الأعمال المخابراتية ليخرج فى النهاية العمل فى أفضل صورة ممكنة لتيسر على القارئ التفاعل معها .. وفهم ما تاه ونقص بين سطورها من حقائق .. وإعادة وصل ما انقطع من ترابطها ..

والعميل المخابراتي هو أولاً وأخيراً تاجر ..

بضاعته المعلومات .. يبيعها لمن يُقَدِّر الثمن .. ويدفع له ..

لكنه ليس كأي تاجرٍ آخر ..

فهو تاجر يحمل رَوَحَه وعمره على يد .. وعلى يده الأخرى كفناً نُسجت خيوطه مما يقدمه للآخرين من معلومات ..

ويوم يوقع رسمياً وثيقة انضمامه لهذا العالم الخطير .. يوقع معها فى نفس اللحظة شهادة وفاة مؤجلة المراسم .. إلى حين ..

وهنا .. ومن خلال هذا الكتاب نعرض لملف واحد من هؤلاء .. وصف بأنه من أهم عملاء الجاسوسية في القرن العشرين .. رجل حاول (الموساد) وهو جهاز المخابرات الذي نجح في تجنيده أن يحوله لأسطورة .. بالكذب والادعاء أحياناً .. وبترويج العديد من الشائعات التي كان بها بعض ظلال الحقيقة أحايين أخرى .. بينما كانت الحقيقة التي لا جدال فيها .. أنه وإن كان على كل هذا القدر من الأهمية .. إلا أنه أولاً وأخيراً كان مجرد رجلٍ خان وطنه (مصر) .. وباعه بين دروب الجاسوسية بحفنة دولارات .. ومجدٍ زائل .. كان أولى به أن يبحث عنه بأي طريقة

أخرى .. بعيداً عن ذلك الطريق الذي سار عبر دروبه باختياره الخاص.. ودفع ثمنه غالياً فيما بعد ..

إنه الدكتور علي العطفى الذي كان بلا شك أهم خبطات الموساد في صراعهم الأبدي مع الجانب المصري وأحد أهم عملائهم على مدار تاريخهم القذر ..

وقبل أن نبدأ رحلتنا معه .. وقبل أن نتساءل من هو الدكتور على العطفى ؟

وما هى قصته .. وكيف تم تجنيده ؟

وما الدور الذى لعبه فى خضم هذا الصراع .. ولماذا يوصف بأنه كان كما قلنا أكثر نجاحات الموساد فى صراعه مع المخابرات المصرية ؟

وقبل أن يتوقف بنا قطار الجاسوسية بين البلدين عند إحدى محطاته الرئيسية وهى محطة العطفي .. نحاول أن نتعرف أولاً على أبرز عملاء الجانبين الذين رسموا خريطة الجاسوسية بينهما .. بملامح .. وأحياناً ملاحم .. جمعت في سطورها بين الخيانة .. والبطولة .

عصام عبد الفتاح

تمـهـيد

جواسيس كلاس .. !!

على الرغم من مرور ٢٨ عاما على توقيع معاهدة "كامب ديفيد" بين مصر وإسرائيل إلا أن إسرائيل لا تتوقف عن تجنيد المزيد من الجواسيس للتخابر على المصالح القومية المصرية ..

وإذا كانت الحكومتان قد وقعتا على هذه المعاهدة فلا يعني هذا أن كلا الشعبين قد قبل الآخر .. فلم .. ولن .. تستطيع هذه المعاهدة - التى من المفروض أنها معاهدة سلام - أن تلغي حجم الكراهية الموروثة بين الشعبين منذ آلاف السنين .. وأن تنهيها بجرة قلم ..

وهناك في إسرائيل يقولون عن السلام مع مصر أنه سلام اختياري ..

وفي مصر .. نقول نحن "صراع وجود وليس صراع حدود" ..

وهذا معناه أنه لا اتفاقية كامب ديفيد .. ولا عشرات الاتفاقيات المماثلة تستطيع أن تحول صراع الوجود إلى سلام .. ولن تستطيع أن تمحوا إرث الكراهية والرفض المتبادل بين الشعبين .. وبالتالي لن تستطيع إيقاف قطار الجاسوسية والتخابر ليس بين مصر وإسرائيل فقط .. وإنما بين إسرائيل والعرب جميعاً .. فهو سيستمر دائماً في طريقه .. يسير على قضبان الخيانة .. ليهبط منه فى كل محطة من محطاته المزيد من الجواسيس .. يحملون في حقائبهم زاد الطريق الشاق والصعب من كراهية كل جانب للآخر .. ويحملون في جيوب سرية فوق قلوبهم جوازات سفر

مختومة إما بختم "الخيانة" لمن يبيعون أوطانهم من أجل حفنة من الدولارات .. أو بختم "البطولة" لمن يقدم نفسه طواعية فداءً لوطنه .. و يسير كل من الاثنين في طريقه.. وأمامه .. أو خلفه .. شبح الموت يطارده .. إما بحبل المشنقة الذي ينتظره إن تم القبض عليه .. أو بطلقة رصاص قد تأتيه في أى لحظة .. من أية جهة ..

السلام .. حل مؤقت ..!!

وإذا كان البعض قد استغرب قيام إسرائيل بالتجسس على بلد يفترض أنه مرتبطٌ معه بمعاهدة سلام قائمة .. إلا أن الحقيقة تقول إن هذا الاستغراب في الواقع لا محل له من المنطق .. فالطبيعي أن تستعد إسرائيل دائماً للخطر الذى قد يأتيها من أى اتجاه .. فهى حتى على المستوى الحاكم بها تؤمن بأن السلام مع مصر أو غيرها من الدول العربية هو حل مؤقت .. هو فقط بمثابة هدنة لالتقاط الأنفاس.. لذا فهى تسعى إلى جمع كل المعلومات وبكل الطرق عن الجميع .. وما يؤكد كلامنا أنه في عام ٢٠٠٢ عقد في إسرائيل مؤتمر خاص لبحث التهديدات الوشيكة التى قد تواجهها إسرائيل كدولة .. وتم تحديد منافذ الخطر وعمل خريطتين .. إحداهما زمنية خاصة باحتمالاته .. وأخرى جغرافية خاصة باتجاهاته ومداخله .. والمفاجأة أن الخريطة الجغرافية كانت تتصدرها مصر كأهم منافذ الخطر المتوقع ..

وبناءً عليه فإن من المنطقي تماماً أن تعد إسرائيل عدتها على كل مستويات الحماية والتأمين خاصةً المستوى العسكري استعداداً لأية ضربة مفاجئة ..

والمنطقى أيضاً أن نتعامل نحن معها من خلال تلك المعطيات....

الجواسيس وقود الحرب ..!!

والحرب دائماً وقودها الأول هم طائفة الجواسيس .. الذين عادةً ما يطلق عليهم تسمية الطابور الخامس .. سواء كانوا إسرائيليين أو مصريين أو من أية جنسيات أخرى .. يبذلون أقصى ما في وسعهم من جهد لتقديم كل ما يمكن جمعه ومعرفته من معلومات عن الطرف الآخر من أحواله العامة اقتصادياً .. واجتماعياً .. وما يملكه من ترسانة وقواعد عسكرية .. وتلك المهام جميعها لا يستطيع القيام بها إلا جواسيس ..

وفي السنوات الأخيرة في مصر تم اكتشاف العديد من الجواسيس عملوا لصالح إسرائيل في مجالات مختلفة امتدت لتصل لأخطر المجالات الحيوية وهو مجال الطاقة الذرية .. وتم كشف النقاب عن العديد من هذه القضايا ..

عزام عزام

في نهاية ٢٠٠٤ أفرجت مصر عن الإسرائيلي (عزام عزام) بعد أن قضى في السجون المصرية ثمانية أعوام .. بموجب صفقة تبادل أفرجت إسرائيل خلالها عن ستة طلاب مصريين قيل أنهم تسللوا إلى داخل الحدود الإسرائيلية لاختطاف دبابة إسرائيلية في أغسطس من نفس العام .. وبموجب نفس الصفقة أفرجت إسرائيل فيما بعد أيضاً عن ١٥٩ فلسطينياً من السجون الإسرائيلية.

وكان (عزام عزام) من أهم وأشهر وأخطر جواسيس إسرائيل في مصر .. وكان يمثل بالنسبة للجانب الإسرائيلي أهمية كبرى بدليل أنه منذ أن حكم عليه عام ١٩٩٧ بالسجن لمدة ١٥ عاماً .. وإسرائيل وقادتها لا يألون جهداً في المطالبة بالإفراج عنه.. وتّم لهم مرادهم وأفرج عنه بعد قضائه مدة ثماني سنوات في السجون المصرية ..

وكان عزام قد أُلقى القبض عليه عام ١٩٩٦ .. وكذلك جميع أفراد شبكة التجسس التي كان يتزعمها .. وكان من بينهم شاب مصري يدعى "عماد إسماعيل" تم تجنيده أثناء وجوده في إسرائيل للتدريب على صناعة الملابس الجاهزة ضمن إحدى البعثات التبادلية بين الشركات والمصانع المصرية .. ونظيرتها الإسرائيلية.. وكان عماد موفداً من قبل المصنع الذي يعمل به في إحدى تلك البعثات التدريبية .. عندما تم الإيقاع به عن طريق عميلتين للموساد تدعيان "زهرة يوسف جريس" .. و"منى أحمد شواهنة" .. وكان عزام يقوم هو وأفراد شبكته بجمع معلومات خاصة بالأنشطة التصنيعية والاقتصادية للمصانع الموجودة في المدن الجديدة مثل مدينة ٦ أكتوبر والعاشر من رمضان .. واستحدث عزام عزام وسائل كانت جديدة للغاية في التعامل والالتقاء بأفراد شبكته المتواجدين بمصر وقتها .. فكان على سبيل المثال يقوم بإدخال الحبر السري الذي يستخدمه هو ومعاونوه عن طريق ارتدائهم أثناء دخولهم مصر ملابس داخلية مشبعة ببودرة الحبر .. ثم غسل هذه الملابس بعد في مياه مقطرة فتتحول المياه إلى سائل حبري خاص يتم تركيزه ثم استخدامه فيما بعد في كتابة خطاباتهم ..

وبعد القبض على عزام ومحاكمته صدر ضده حكم بالسجن ١٥ عاماً .. كما صدر الحكم بالسجن ١٠ سنوات على عماد اسماعيل ..

واعترض "بنيامين نتنياهو" رئيس وزراء إسرائيل وقتها على حكم القضاء المصري ..

وفي آخر زيارة لعزام في السجن وكانت من "داني نافيه" مستشار رئيس الوزراء الإسرائيلي وقتها "اسحق شارون" ومستشارته الصحفية ومندوب من السفارة الإسرائيلية بالقاهرة .. طلب عزام منهم ضرورة الإسراع بالإفراج عنه لأنه ضاق بحياة السجن .. فأكدوا له أنهم يحملون له وعداً من اسحق شارون شخصياً بأنه سيبذل أقصى جهوده ومن وراءه حكومة إسرائيل بالكامل لتحقيق هذا الهدف ..

والغريب أن قادة إسرائيل كانوا دائما يضعون قضية الإفراج عن عزام عزام محل اهتماماتهم ويجعلونها رقم واحد على أجندة المباحثات بين مصر وإسرائيل .. وكانت الحكومة المصرية ترد هى الأخرى دائماً برد واحد وهو أن القضاء المصري له كامل السيادة ويتمتع بالنزاهة والاستقلال في أحكامه .. حتى تم الإفراج عن عزام في الصفقة المشار إليها ..

سمحان موسى

وهذه القضية تعد واحدة من أغرب قضايا التجسس الإسرائيلي على مصر بطلها هو الجاسوس "سمحان موسى مطير" .. وتعد هذه القضية هى الأغرب لأنها المرة الأولى التي يتم فيها تجنيد تاجر مخدرات ليكون جاسوساً لإسرائيل وكان "سمحان" قداتفق مع رجال الموساد بعد اصطياده وتجنيده على أن يتقاضى ثمن خيانته كميات كبيرة مخدرات .. وكان سمحان يعمل في فترة شبابه بإحدى شركات المقاولات التي لها أعمال مشتركة في مصر وإسرائيل ومن هنا كان اتصاله بالموساد الإسرائيلي، وعمل بتجارة المخدرات تحت ستار شركة مقاولات خاصة قام بإنشائها فيما بعد وكانت له علاقات واتصالات عديدة ببعض ضباط الموساد المعروفين ..

وكان سمحان جاسوساً شديد الحرص للغاية .. تلقى تدريبات على أعلى مستوى في كيفية الحصول على معلومات .. وكيفية إرسال واستقبال الرسائل المشفرة بمختلف الطرق .. لكنه كان يفضل دائماً أن يحفظ المعلومات التي تتوافر لديه وينقلها شفاهةً إلى ضباط الموساد الإسرائيلي .. وكانت المعلومات المطلوبة من سمحان تتعلق بالوضع الاقتصادي لمصر وحركة البورصة المصرية وتداول الأوراق المالية .. وكذلك تم تكلفته بالحصول على معلومات تخص بعض رجال الأعمال.. حتى تم القبض عليه ومحاكمته عام ١٩٩٧... وحُكمَ عليه بالأشغال الشاقة ١٥ عاماً.

شريف الفيلالي

من أبرز القضايا التي صدرت فيها أحكام مشددة قضية المهندس شريف الفيلالي.. ففي مارس ٢٠٠٢ قضت محكمة أمن الدولة العليا في مصر بحبس الفيلالي (١٥ عاماً) خمسة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة .. وحكمت المحكمة أيضا على شريكه الروسي "جريجوري شفيتس" غيابياً بالسجن لمدة ٢٥ عاماً لإدانته بالتخابر مع الموساد وتجنيده الفيلالي.

والغريب في هذه القضية أن الفيلالي كان قد تم تبرئته في حكم محكمة أول درجة.. إلا أن الرئيس المصري حسني مبارك أمر بإعادة محاكمته ليتم إدانته لاحقاً..

وكان شريف الفيلالي الذي سافر عام ١٩٩٠ لاستكمال دراسته العليا بألمانيا قد تعرّف -خلال إقامته بها- على امرأة ألمانية يهودية تدعى (ايرينا) قامت بتقديمه إلى رئيس قسم العمليات التجارية بإحدى الشركات الألمانية الدولية والذي ألحقه بالعمل معه بالشركة وطلب منه تعلم اللغة العبرية تمهيداً لإرساله للعمل في إسرائيل.. وعندما فشل في تعلم اللغة العبرية سافر إلى أسبانيا وتزوج من امرأة يهودية مسنة.. ثم تعرف على "جريجروي شيفيتش" الضابط السابق بجهاز المخابرات السوفيتي (K.G.B) والمتهم الثاني في القضية وعلم منه أنه يعمل في تجارة الأسلحة.

وأغراه بأنه يستطيع مثله أن يثرى مالياً بشكل كبير في زمن وجيز لكن بشرط أن يستمع لنصائحه جيداً .. وينفذ ما يطلبه منه .. وكان ما يطلبه هو إمداده بمعلومات سياسية وعسكرية عن مصر ومدى الاستقرار السياسي بها والتطويرات التي تمر بها القوات المسلحة المصرية وبخاصة زوارق الصواريخ البحرية ٢٠٥ و ٢٠٦ مستغلاً علاقته بابن عمه سيف الدين الفيلالي الضابط السابق بالقوات البحرية المصرية[١]..

---

(١) لم تثبت التحقيقات التى أجريت مع الفيلالى .. ولا تحريات القضية - فيما بعد- أى تعاون تم بينه وبين ابنى عمه المشار إليهما .. بل ثبت أنهما لم يكونا على علم على الاطلاق بما يقوم به ابن عمهما من أعمال تجسسية..

ومعلومات أخرى حول الأوضاع الاقتصادية تخص مشروعات استثمارية قائمة منها ما هو سياحي وزراعي بمساعدة ابن عمه الآخر ويدعى سامي الفيلالي الذى كان يعمل وقتها وكيلاً لوزارة الزراعة .. ووافق الفيلالي وبدأت اللقاءات مع ضابطين من الموساد قاما بتدريبه بالشكل المناسب ليبدأ مهمته .. وبعد عودته إلى مصر نجح رجال الأمن المصريون في القبض عليه في بدايات عام ٢٠٠١ وحكم عليه بالسجن ١٥ عاماً .. حتى مات داخل السجن فى أول يوليو ٢٠٠٧ بعد وفاة البطل المصري أشرف مروان بأيام قليلة ..

مجدي توفيق

قضية تجسس أخرى أُحبطت قبل أن تبدأ وهى قضية مجدي أنور توفيق الذي حكم علية بالسجن ١٠ سنوات أشغالاً شاقة بعد أن وجهت له أجهزة الأمن المصرية تهمة السعي إلى التخابر مع دولة أجنبية .. وكذلك أيضا تهمة التزوير في أوراق رسمية حيث قام المتهم بتزوير شهادة من الأمانة العامة للصندوق المصري للتعاون الفني مع أفريقيا التابع لوزارة الخارجية المصرية تشير إلى عمله بها كوزير مفوض على غير الحقيقة .. وكان قد لجأ إلى تلك الحيلة الماكرة لرفع سعره لدى المخابرات "الإسرائيلية".. واعترف الجاسوس أنه قام بالاتصال بالقنصلية الإسرائيلية بالإسكندرية عن طريق الفاكس .. وبالطبع كانت المخابرات المصرية تتابع كل خطواته منذ بدايتها دون أن يدرى .. ربما لسذاجته الشديدة فى طريقة اتصاله بالقنصلية الإسرائيلية .

عصام العطار

ولد محمد عصام غنيم العطار (٣١ عاما) لأسرة ذات عراقة في العمل الديني في مصر .. فجده لأبيه الشيخ محمد العطار كان شيخاً سابقاً للأزهر .. انفصل والد عصام العطار - الذي تبرأ منه تماماً بعد تكشف القضية - عن أمه التي كانت تعمل مهندسة زراعية قبل ٢٩ عاماً .. وقال الأب فيما بعد إن الأم هى التي أفسدت ابنه.. وانه - أي أبوه - لم يره منذ ٥ سنوات عندما حضر للعزاء في وفاة جده وأخبره ابنه حينها انه التحق للعمل كمهندس بترول في إحدي الشركات الأمريكية .. وأكد الأب أنه على استعداد لشنق ولده بيديه لو تأكد من أنه عمل بالفعل جاسوساً لإسرائيل..

وعندما تم اصطياد العطار بواسطة ثلاثة من ضباط المخابرات الإسرائيلية في تركيا عام ٢٠٠١ .. دبر له ضباط الموساد وظيفة بأحد البنوك الكندية .. وساعدوه في الحصول على الجنسية الكندية بعد أن تم تنصيره وتغيير اسمه إلى "مايكل" .. وتم زرعه من خلال عمله وسط تجمعات المصريين والعرب المهاجرين إلى هناك .. وطلبوا منه التجسس على العرب والمصريين من خلال عمله في البنك الكندي الذي كان يعمل به ..

وأغلب الظن أن عصام قد تم السيطرة عليه من خلال ما عرف عنه من ممارسته للشذوذ الجنسي.. إما بتصويره ثم تهديده فيما بعد .. أو بوسيلة أخرى .. وبعد دخوله الأراضي المصرية بجواز سفره الكندي .. وبالاسم والديانة الجديدتين كان ضباط المخابرات المصرية الذين يتابعونه من فترة كبيرة ينتظرونه ليلقوا القبض عليه .. وعندها حاول إنكار أنه عصام العطار والتمسك بشخصيته واسمه الجديدين.. إلا أنه سرعان ما انهار واعترف بالحقيقة .. وتم تقديمه للمحاكمة.. حيث حكم عليه القضاء المصري بالسجن ١٥ عاماً .. ومازال في محبسه حتى الآن..

جاسوس الطاقة الذرية ..

وفي يوم ١٨ فبراير عام ٢٠٠٧ ألقت أجهزة الأمن المصرية القبض على شخص يدعى محمد سيد صابر علي (٣٥ عاما) يعمل مهندساً بهيئة الطاقة الذرية بمصر لدى وصوله لمطار القاهرة قادماً من هونج كونج .. حيث تم رصد لقاء له هناك ببعض ضباط المخابرات الإسرائيلية ..

وكانت تحريات أجهزة الأمن المصرية قد أكدت أن المهندس المصري على علاقة بالمخابرات الإسرائيلية .. وأنه استغل وظيفته في هيئة الطاقة الذرية للاستيلاء على معلومات مهمة تخص عمله بهذا الموقع الحساس لتقديمها للمخابرات الإسرائيلية عن طريق شريكين آخرين أحدهما أيرلندي .. والآخر ياباني .. وأنه تقاضى نظير ذلك من المتهم الثاني الأيرلندي مبلغ ١٧ ألف دولار أمريكي وجهاز كمبيوتر محمول..

وقد اعترف المتهم تفصيلياً بتخابره لصالح إسرائيل .. وتم تقديمه للمحاكمة .. بينما نفى متحدث باسم وزارة الخارجية الإسرائيلية علم حكومته بهذه القضية.. وأكد أن إسرائيل اطلعت على هذه القضية من وسائل الإعلام وليس لديها أية معلومات تفصيلية عنها.

وكانت هذه هي القضية الثانية التي يتم ضبطها خلال أقل من أربعة أشهر .. ويتهم فيها مصرى بالتجسس لحساب إسرائيل.. بعد قضية عصام العطار ..

جواسيس فلاش باك ..

ولو حاولنا أن نعود بالذاكرة للوراء قليلاً لنرصد بدايات الصراع المصري الإسرائيلي على المستوى المخابراتي لاكتشفنا أن أوراق هذا الملف متخمة تماماً بالعديد من الأسماء التى كان وراء كل اسمٍ منها قصة وحكاية .. لكن سنتوقف قليلاً عند بعض الأسماء ممن نستطيع أن نطلق عليهم أنهم كانوا عملاءً فوق العادة .. شكلوا الكثير من ملامح هذا الدرب الطويل من الصراع بين الجانبين .. ونبدأ برجل كان من أوائل من ركبوا قطار الجاسوسية بين مصر وإسرائيل .. ومن أكثرهم خطورة وهو ..

ولفجانج لوتز

عام ١٩٦٥ ألقت السلطات المصرية القبض على ولفجانج لوتز الذي كان قد وصل مصر عام ١٩٦٠ وبدأ في مصادقة كبار المسؤولين المصريين وتمكن من زيارة مواقع إطلاق الصواريخ المصرية وجمع معلومات سرية عن الصناعات العسكرية المصرية. وبمجرد القبض عليه .. اعترف بالتجسس لصالح إسرائيل وتمسك بجنسيته كمواطن ألماني وهو ما سمح له بمحامي ألماني ومراقب من السفارة .. وحُكم عليه بالسجن مدى الحياة وأُفرج عنه عام ١٩٦٨ بموجب صفقة لتبادل الأسرى.

وكان "ولفجانج لوتز" قد ولد في ألمانيا عام ١٩٢١ لأسرة يهودية .. والده كان مخرجاً مسرحياً.. ووالدته ممثلة .. وفي عام ١٩٣١ انفصل والداه .. وعام ١٩٣٣ عشية صعود هتلر إلى السلطة في ألمانيا هاجرت والدته إلى فلسطين وأخذت معها ابنها وعملت هناك في مسرح بتل أبيب .. في حين التحق ولفجانج بمدرسة "بين

شمين" الاستيطانية وغير اسمه إلى "زائيف جورا"[1] .. ومع مرور الوقت أصبح خبيراً في ركوب الخيل وبعد عدة سنوات قبل أن يتم عامه الخامس عشر انضم إلى منظمة الهجانا الأمنية الاستخبارية .. وكانت من بين مهامه حراسة الحافلات المدرعة التي تحمل ما تحتاجه مدرسة "بين شمين" التي كان يحيط بها العديد من القرى والمدن الفلسطينية الرافضة للوجود الصهيوني في أرض فلسطين ..

وفي عام ١٩٣٩ اندلعت الحرب العالمية الثانية وبما أن لوتز كان يتحدث الألمانية والإنجليزية ببراعة إضافة إلى العبرية والعربية رأت القوات الإنجليزية أنه سيكون عوناً كبيراً لها وتم تجنيده وأرسل إلى مصر وظل هناك طيلة فترة الحرب وكانت مهامه الأساسية تتضمن التحقيق مع أسرى الحرب الألمان هناك حيث كانت مهارته في استخدام اللغة الألمانية عوناً كبيراً له.

عقب الحرب عاد إلى فلسطين وشارك في عمليات تهريب الأسلحة لمنظمة الهجانا الإسرائيلية وعندما أعلن قيام دولة إسرائيل في مايو ١٩٤٨ خدم لوتز كملازم أول في قوات الدفاع الإسرائيلية ولعب أدواراً مختلفة في تنفيذ أكثر العمليات وحشية في الأراضي الفلسطينية .. واستمر في الجيش بعد الحرب وفي عام ١٩٥٦ رُقيَّ إلى رتبة لواء وقاد عملية إسرائيلية ضد القوات المصرية في سيناء أطلقت عليها فى إسرائيل اسم (حملة السويس) .

ومع بداية عام ١٩٥٧ اتُخذَّ قرار بإرساله إلى مصر لجمع معلومات استخبارية عن المساعدات السوفييتية التي تقدم لعبد الناصر ..

واستقر بمصر نهائياً اعتباراً من ديسمبر ١٩٦٠ وسرعان ما تمكن من إقامة العديد من الاتصالات المهمة حيث ذهب إلى نوادي الفروسية التي كانت مكان تجمع

(١) زائيف هو الاسم العبري لاسم ولف .. والاسمان بمعنى الذئب

أهم القيادات العسكرية المصرية وترددت الأخبار عن ذلك الثري الألماني الذي تغلغل بين أبناء الطبقة الأرستقراطية المصرية... وخلال أيام كان يتلقى الكثير من الدعوات لحفلات عشاء في أهم البيوت المصرية وكان الأثرياء الذين يستثمرون أموالهم في تربية الجياد يطلبون منه المشورة وسرعان ما قرر لوتز أن يظهر سخاءه حيث اشترى الجياد ووضعها في نادٍ للفروسية.

واستأجر فيلا في منطقة مصر الجديدة وتظاهر بأنه من هواة تربية الخيول العربية وبهذا تمكن من الانضمام لعضوية نادي الفروسية في الجزيرة ومن خلال النادي تمكن من عقد المزيد من الصداقات مع هواة تربية الخيول من المصريين والأجانب وهكذا تمكن من تنفيذ الشق الأول من مهمته وهى اقتحام الطبقة العليا من المجتمع المصرى.

وبعد ستة أشهر عاد إلى أوربا وقدم تقاريره إلى قيادات الموساد الذين أعلنوا رضاهم التام عن سير عمله ووصفوه بأنه "عين تل أبيب في القاهرة".

وفي صيف عام ١٩٦٢ عاد لوتز وزوجته إلى مصر لتنفيذ الشق الثانى من المهمة حيث تمكن عن طريق إقامة العديد من الحفلات والعلاقات البارزة داخل المجتمع المصرى تكوين علاقات وصداقات مع شخصيات بارزة في الاستخبارات العسكرية المصرية كما تمكن لوتز من التعرف على بعض الخبراء الألمان الذين كانوا يعيشون في القاهرة وأصبح صديقاً شخصياً للعديد منهم مثل جرهارد بوش الذي يعتقد أنه كان يتجسس على الحكومة المصرية لصالح عاصمة ألمانيا الغربية "بون" إضافة إلى أنه تلقى قائمة بأسماء جميع العلماء الألمان في القاهرة وعناوينهم وتمكن من الحصول على تفاصيل دقيقة عن دور كل منهم في مصانع الإنتاج الحربي المصرية.

وفي تلك الفترة نجحت مهمته في معرفة كل ما يمكن معرفته عن الصواريخ الروسية (سام) وموقع بناء قواعدها بالقرب من قناة السويس في مدينة الإسماعيلية

.. وكان يستخدم جهاز إرسال لاسلكي صغير يخفيه في حمامه الشخصي .. وأرسل من خلاله رسائل سرية إلى الموساد طيلة خمس سنوات عن المعلومات السرية العسكرية المصرية وبرنامج الصواريخ المصرية.

في بداية الستينيات كان رئيس الموساد وقتها إيسير هاريل شديد القلق من خطر العلماء الألمان الذين يعملون مع نظرائهم المصريين لتطوير برنامج الصواريخ حيث كان هناك خوف كبير من قدرة تلك الصواريخ على الوصول إلى المدن الإسرائيلية خاصة" بعد قيام مصر بإحدى تجارب الإطلاق التي نجحت نجاحاً كبيرا" أثار مخاوف الموساد الذى تعامل مع الأمر على أنه يشكل تهديداً حقيقياً على أمن إسرائيل .

وظل لوتز يعمل بشكل جيد في القاهرة لعدد من السنوات إلى أن حدثت تغيرات في السياسة الخارجية المصرية في خريف عام ١٩٦٤ حيث كانت مصر تعتمد على المساعدات العسكرية السوفييتية منذ منتصف الخمسينيات .. وحاول الروس استخدام تلك المساعدات في الضغط على عبد الناصر لدعوة رئيس ألمانيا الشرقية والتر بريتش لزيارة القاهرة .. واعترضت وقتها حكومة ألمانيا الغربية ولكن عبد الناصر شعر أن عليه عدم إلغاء الزيارة في الوقت الذي كان فيه السوفييت يشكون أيضا من العمليات الاستخبارية التي تقوم بها ألمانيا الغربية بالتعاون مع وكالة الاستخبارات الأمريكية ضدهم .. وفي شتاء عام ١٩٦٥ قبيل زيارة رئيس ألمانيا الشرقية أمر عبد الناصر باعتقال نحو ثلاثين عالماً من ألمانيا الغربية كانوا يعيشون في القاهرة وكان من بين الذين أمر باعتقالهم ولفجانج لوتز إضافة إلى زوجته ووالديها اللذين كانا في زيارة لمصر وقتها.

وعندها توقع لوتز أن تكون الحكومة المصرية قد علمت بتجسسه لصالح الموساد وخلال استجوابه اعترف من تلقاء بكل شيء فيما عدا كونه يهودياً و"إسرائيليا"

حيث أصر على أنه ضابط ألماني سابق ضغط عليه الموساد للتجسس لصالحه.. وكان الموساد قد كلف محاماً ألمانياً للدفاع عنه أكد وقتها ما كان خافيا على الحكومة المصرية وتطوع بكل سذاجة ليؤكد لجهات التحقيق المصرية بالفعل أنه مواطن "إسرائيلي" خدم في الجيش "الإسرائيلي" وشارك في عمليات عسكرية ضد الفلسطينيين.

اعتراف على الهواء ..

وفي عام ١٩٦٤ ظهر لوتز على شاشات التلفزيون المصري وهو يعترف بأنه ألماني عمل في شبكة تجسس "إسرائيلية" في مصر منذ عام ١٩٦١ وأنه نادم على ما فعل ويحمل للمصريين كل احترام وتقدير .. واعترف بأن المصريين عاملوه في سجنه معاملة حسنة ومثالية .. وكان لوتز قد أرسل عام ١٩٦٥ إلى أحد السجون ليقضى عقوبة السجن مدى الحياة وغرامة قدرها ٢٠ ألف دولار أمريكي .. كما حكم أيضاً على زوجته بالسجن لمدة ثلاث سنوات .. وتم إطلاق سراحه بعد ثلاث سنوات مقابل ٥٠٠ ضابط مصري كانوا قد أسروا في حرب ١٩٦٧وكانت المرة الأولى التي تعترف فيها "إسرائيل" بأن لوتز جاسوسها .. وعند إطلاق سراحه ذهب إلى تل أبيب مع زوجته الألمانية اليهودية حيث وضع كتاب بعنوان "جاسوس الشمبانيا" ونال الكتاب نجاحاً كبيرا ولكن ثروة الجاسوس تضاءلت بشكل كبير عقب وفاة زوجته .. وفي مقابلة أجريت معه عندما كان في رحلة في ميونخ عام ١٩٧٨ شكا من أنه يعيش على حافة الفقر وأنه لا يتلقى سوى معاش لا يتعدى ٢٠٠ دولار سنوياً يدفع له من قبل الموساد .

شبكة لافون ..!!

عرفت هذه القضية بفضيحة (لافون) .. أو (عملية سوزانا) .. وبدأت أحداثها عام ١٩٥١ عندما وصل إلى مصر أحد كبار عملاء المخابرات الإسرائيلية.. وهو "إبراهام دار" الذي اتخذ لنفسه اسماً مستعاراً هو "جون دارلنج" .. وكان يهودياً بريطانياً من الذين عملوا مع الموساد عقب تأسيس دولة إسرائيل عام ١٩٤٨.. وقام دارلنج بالتخطيط من أجل تجنيد الشبان من اليهود المصريين استعداداً للقيام بسلسلة من التفجيرات تم تنفيذها عام ١٩٥٤ مثل تفجير بعض دور السينما في القاهرة والإسكندرية كان من بينها دار عرض سينمائي بريطانية .. وكذلك أحد مكاتب البريد في الإسكندرية .. ومكتبتين أمريكيتين في كل من القاهرة والإسكندرية.

وكان أشهر من نجح دارلنج في تجنيدهم وتدريبهم فتاة يهودية تدعي مارسيل نينو .. وكانت آنذاك في الرابعة والعشرين من عمرها .. ومعروفة كبطلة أوليمبية مصرية شاركت في أوليمبياد عام ١٩٤٨ كما عرفت بعلاقاتها الواسعة مع بعض ضباط الجيش المصري في أواخر حكم الملك فاروق.

وعندما ألقي القبض على "مارسيل" في أعقاب اكتشاف شبكة التجسس حاولت الانتحار مرتين .. إحداهما في مقر النيابة حيث كان يتم التحقيق معها .. والثانية في السجن بعد أن تم نقلها إليه .. وفي كل من المحاولتين تم إنقاذها لتقدم إلى المحاكمة مع ١١ جاسوساً يهودياً ضمن الشبكة نفسها .. وحكم عليها بالسجن ١٥ عاماً..

الصفقة السرية

وكان من المقرر أن تنتهي مدة عقوبة مارسيل عام ١٩٧٠ .. إلا أن عملية التبادل التي جرت بين القاهرة وتل أبيب بشكل سري عام ١٩٦٨ أدت إلى الإفراج عن "مارسيل نينو" وعدد آخر من الجواسيس ضمن صفقة كبيرة .. وكان شرط الرئيس جمال عبد الناصر ألا تعلن إسرائيل عن عقد هذه الصفقة في أي وقت من الأوقات.. وبالفعل التزمت إسرائيل بهذا الشرط .. حتى جاء عام ١٩٧٥ وذلك عندما عرف أحد الصحفيين الإسرائيليين بطريق غير مباشر أن رئيسة وزراء إسرائيل "جولدا مائير" قد حضرت حفل زواج فتاة في الخامسة والأربعين من عمرها .. بدا الخبر له غريباً .. و أيقن أن وراء حضور مائير بالضرورة قصة مثيرة .. فلماذا تذهب شخصية في وزن جولدا مائير لعرس فتاة عانس .. لا تربطها بها أي صلة قرابة؟!..

وتوصل الصحفي إلي القصة .. ونشر حكاية "مارسيل نينو" التي كاد المجتمع الإسرائيلي أن ينساها تماماً.

ويبقي السؤال

"كيف .. ولماذا تفاوض الرئيس جمال عبد الناصر مع إسرائيل لعقد هذه الصفقة السرية؟

تؤكد الحقيقة التاريخية .. أن إطلاق سراح هؤلاء الجواسيس لم يتم إلا بعد سلسلة طويلة من المباحثات .. والمفاوضات السرية بين القاهرة وتل أبيب .. فبعد إلقاء القبض علي أعضاء الشبكة .. أصدرت المحكمة العسكرية برئاسة اللواء محمد فؤاد الدجوي في ٢٧ يناير ١٩٥٥ حكمها فى هذه القضية على النحو التالى :

١- الإعدام شنقاً على كل من : موسي ليتو مرزوق .. و شموئيل باخور عزرا .. وتم تنفيذ الحكم فيما بعد ..

٢- الأشغال الشاقة المؤبدة لمدة ٢٥ عاماً على كل من "فيكتور موين ليفي" و"فيليب هيرمان ناتانسون".

٣- بالأشغال الشاقة لمدة ١٥ عاماً علي كل من : "مارسيل فيكتور نينو" و"روبير تسيم داسا" ..

٤- بالأشغال الشاقة لمدة ٧ سنوات على كل من: "مائير يوسف زعفران" و"مائير شموئيل ميوحاس".

٥- كما أمرت المحكمة بالإفراج عن خمسة أشخاص آخرين.

وبمجرد سقوط الشبكة في أيدي أجهزة الأمن المصرية والقبض على أفرادها .. ومن قبل صدور الحكم بدأت إسرائيل جهوداً سياسية .. ودولية مكثفة على جميع المستويات لإطلاق سراح أعضائها ..

وفي أكتوبر ١٩٥٤ تم تشكيل مجموعة من السياسيين الإسرائيليين وكبار رجال الموساد .. للسعي لدي كل حكومات العالم من أجل الضغط علي مصر لإطلاق سراح أعضاء الشبكة ..

لكن مصر بدأت في إجراءات محاكمتهم في ١١ سبتمبر ١٩٥٤ بشكل علني ووقتها.. اقترح "بنيامين جبيلي" أحد كبار مسئولي المخابرات الإسرائيلية العليا.. والذى كان قد أعلن تحمله منفرداً المسئولية كاملةً عن فشل العملية وسقوط أفرادها.. إرسال خطابات سرية إلي الرئيس جمال عبد الناصر في محاولة لإقناعه بأي طريقة يراها لإطلاق سراح الجواسيس الإسرائيليين .. ولكن كل المحاولات

باءت بالفشل .. حتى أن "عاميت" رئيس الموساد - في ذلك الوقت - قام بإعداد مشروع خطاب إلي عبد الناصر عرض فيه تقديم قرض مالي إلي الحكومة المصرية قدره ٣٠ مليون دولار مقابل الإفراج عن الجواسيس الستة المحكوم عليهم .. ولكن رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي أشكول رفض هذا الاقتراح على اعتبار أنه سيؤدي إلى تحسين الأوضاع الاقتصادية لمصر.. وتقوية جيشها (!!).. وهو ما يتعارض مع مسار الصراع بين الدولتين .

وظلت إسرائيل تواصل ضغوطها الدولية على مصر لمدة ٧ سنوات كاملة .. حتى تم الإفراج عن اثنين من جواسيسها وهما "مائير شموئيل ميوحاس" و "مائير يوسف زعفران" .. وتم تسليمهما إلى تل أبيب ..

إلا أن عدد الجواسيس الإسرائيليين في القاهرة عاد للارتفاع مرة أخرى إلي ١٤ جاسوساً عقب سقوط ٥ شبكات دفعة واحدة في قبضة جهاز المخابرات المصرية.

سمير الإسكندراني ..

ففي عام ١٩٦٠ سقطت في أيدي أجهزة الأمن المصرية ٥ شبكات - دفعة واحدة بعد جهد شاق استمر حوالي عامين كان أشهرهم تلك الشبكة التى كان سبب سقوطها شاب يدعى "سمير الإسكندراني"(١) الذي تمكن بالتعاون مع جهاز المخابرات المصرية من إسقاط ١٠ جواسيس من الوزن الثقيل من جنسيات مختلفة وبعضهم كان مصرياً وذلك بعد أن حاول الموساد تجنيد (الإسكندرانى) أثناء تواجده للدراسة في روما .. وعند عودته لمصر قام بإبلاغ المخابرات المصرية بالأمر .. فتم توجيهه

---

(١) الفنان والمطرب المصرى المعروف بعد ذلك.

لمسايرتهم .. حتى اكتملت أركان القضية وسقطت الشبكة التي كان نشاطها موزعاً بين القاهرة وروما بالكامل.. وقد ضمت تلك الشبكة كلاً من المصريين: إبراهيم رشيد (محامي) .. وفؤاد محرم (مساعد طيار مدني).. ومحمد محمد مصطفي رزق الشهير بـ رشاد رزق .. ومحمد سامي عبد العليم نافع.. ومرتضي التهامي ..

وبعض الأجانب من العاملين بمصر هم : "نيقولا جورج لويس" مصمم الفترينات بشركة ملابس الأهرام فرع مصر الجديدة .. و"جورج استاماتيو" الموظف بمحلات جروبي بوسط القاهرة .. و"جود سوارد" .. و"رايموند دي بيترو" .. و"فرناندو دي بتشولا" ..

وكان كل اسمٍ من هذه الأسماء بمثابة نواة .. أو خلية تجسس لتكوين شبكات تجنيد متكاملة فيما بعد لتعمل داخل مصر.. وكان وراءهم عدد كبير من ضباط الموساد المحترفين .. المتواجدين في تل أبيب .. وروما .. وباريس .. وسويسرا.. وأمستردام.. وأثينا .. يتراسلون فيما بينهم عبر شبكة اتصالات كبيرة ومعقدة .. وكانت تلك العملية التي أحبطتها المخابرات المصرية عملية معقدة ومتشعبة وخطيرة .. ولذلك كان سقوطها أيضاً صاخباً ومدوياً .. بل وكارثة لإسرائيل وجهاز مخابراتها .. ترتب عليها الإطاحة برئيس جهاز الموساد الإسرائيلي وإقالته من منصبه.

وقبلها .. وكما أشرنا في عام ١٩٦٢ تمكنت أجهزة الأمن المصرية من إلقاء القبض على الجاسوس الإسرائيلي "ليفجانج لوتز" وزوجته بتهمة إرسال رسائل ملغمة لقتل خبراء الصواريخ الألمان العاملين في القاهرة .. ليرتفع بذلك عدد الجواسيس المقبوض عليهم في مصر إلى ١٦ جاسوساً .. سعتّ إسرائيل بشتى الطرق للإفراج عنهم جميعاً.

وجاءت نكسة ٥ يونية ..١٩٦٧ لتضع مصر في مأزق تاريخي .. ولتعطي إسرائيل فرصة ذهبية لاسترداد جواسيسها مقابل الإفراج عن الأسرى المصريين في تلك

الحرب .. ولكن عملية الإفراج عن جواسيس إسرائيل جاءت في سرية تامة بناء على طلب الرئيس جمال عبد الناصر.

وفي ٢ يناير ١٩٦٨ بدأت مصر في الإفراج عن الجواسيس الإسرائيليين .. وبعدها بعدة أيام .. وبالتحديد في ١٣ يناير كان كل جواسيس فضيحة لافون بمصر ومعهم لوتز وزوجته .. قد تجمعوا في تل أبيب.. وفي نهاية عام ١٩٦٨ أرسلت مصر. بناء علي طلب تل أبيب. رفات كل من الجاسوس موسي ليتو مرزوق و "شموئيل باخور عزرا" سراً إلى إسرائيل بعد استخراج رفاتهما من مقابر اليهود بالقاهرة والإسكندرية.

جمعة الشوان

واسمه الحقيقي أحمد محمد عبد الرحمن الهوان .. من مواليد مدينة السويس.. يعتبر من أهم العملاء الأبطال الذين خاضوا الصراع المخابراتي المصري الاسرائلي.. خلق موجة غير مسبوقة من التفاف الرأي العام حول بطولته والإشادة بها عندما تم إبراز بطولته ودوره من خلال المسلسل الشهير "دموع في عيون وقحة" الذى عرضته جميع تلفزيونات الوطن العربي .. بالرغم أن المسلسل لم يقدم الحقيقة كاملةً للجمهور .. بل أن كل ما قدمه منها لا يتجاوز أكثر من ٧٪ فقط.. حيث أنه عند بدء تصوير المسلسل ١٩٨٠ لم يكن مضى على إنهاء ملف الشوان أكثر من عامين .. بينما تنص القوانين المصرية على ضرورة مرور ٢٥ عاماً على الأقل للإفراج عن الملفات المخابراتية .

وعلى مدار ١١ عاماً تمكن هذا البطل المصري من خداع المخابرات الإسرائيلية.. دخل وخرج خلالها من وإلى تل أبيب مرات عديدة .. وتعامل فيها مباشرةً مع كبار المسؤولين في الموساد في ذلك الوقت وفي مقدمتهم "شيمون بيريز" الذي أصبح

رئيساً لوزراء إسرائيل فيما بعد .. وكان هو رئيس المخابرات الإسرائيلي الذي تسلم منه جهاز الإرسال الذى كان يعد وقتها هو أحدث صيحة في عالم الجاسوسية ..كما كان قبل ذلك هو ضابط المتابعة الذى يتولى ملفه .. وكان هذا الجهاز لا يتسلمه إلا أكثر الجواسيس أهميةً وقيمة لدى الأجهزة التى تشغلها.. وقام الشوان وكما هو معروف بتسليم الجهاز بدوره للمخابرات المصرية ..

كما تمكن من خلال عمله كعميل مزدوج .. وقربه الشديد من قادة الموساد من الحصول لمصر على معلومات غاية فى الخطورة .. كان لها دور كبير في انتصار القوات المصرية في حرب أكتوبر ١٩٧٣ .. فقد استطاع الشوان تكوين علاقات صداقة على مستوى عال للغاية مع كبار الشخصيات في إسرائيل مثل "عيزرا وايزمان" و "ديفيد اليعازر" .. بالإضافة بالطبع إلى شيمون بيريز .. وجميعهم من أشهر الأسماء في تاريخ إسرائيل .. وتقلدوا مناصب غاية في الخطورة هناك ..

وتمكن أيضاً من تجنيد إحدى ضابطات الموساد كانت قد ارتبطت معه بقصة حب شديدة أثناء إقامته في اليونان تجنيداً عكسياً لتصبح هى الأخرى من أهم عميلات المخابرات المصرية .(١) وعرفها الناس فى مصر والدول العربية من خلال نفس المسلسل باسم (جوجو).

كما قام بتسليم الأموال التي حصل عليها من الموساد طوال فترة عمله منذ عام ١٩٦٧ تاريخ تجنيد الموساد له .. وحتى اعتزاله وإنهاء ملفه عام ١٩٧٨ .. للسلطات المصرية أولاً بأول ..

---

(١)بعد تجنيدها للعمل لصالح المخابرات المصرية تمكنت من تقديم معلومات غاية فى الدقة استفاد منها الجيش المصري فى حرب أكتوبر ويذكر أن "جوجو" التى يقترب عمرها الآن من الستين عاما أشهرت إسلامها فيما بعد وتنقبت واختارت اسم "فاطمةالزهراء" ليكون اسما لها .. وأدت العمرة وحجت مرتين.. وذلك بعد ان تمكن الشوان فيما بعدانتهاء حرب التحرير فى ١٩٧٣وتنفيذا لأوامر المخابرات ةالمصرية من احضارها لتقيم فى مصر حفاظا علىحياتها.. حيث لا زالت تقيم حتى الان ..بعدها تزوجت مصريا وانجبت منه ولدين بنت .

ولم تكن المبالغ التى حصل عليها من الموساد طوال هذه الفترة قليلة .. بل كانت مئات الآلاف من الدولارات .. نظير خدماته التي كان يقوم بها تحت إشراف المخابرات المصرية وعلمها .. فقد كانت أول دفعة مالية يحصل عليها من الموساد قيمتها ١٨٠ ألف دولار .. اشترى. حسب تعليمات الموساد له. بجزء منها شقة لتكون مركزاً لعمليات التجسس التي كان مكلفاً بالقيام بها .. وكذلك سيارة مستعملة ليستخدمها في تنقلاته ..

وبدأت قصته مع الموساد عام ١٩٦٧ .. بعد نكسة يونية .. حينما قرر ترك السويس.. بل ومصر جميعها بعد أن تم تهجيره هو وأسرته ضمن مئات الأسر التى تم تهجيرها لمختلف محافظات مصر من مدن القناة الثلاثه .. وانتقل بأسرته المكونة من أمه.. وشقيقه الأصغر "مصطفى" .. وابنة خالته التى فقدت بصرها أثناء انفجار إحدى القنابل بالقرب من منزلهم فى السويس وكانا مرتبطان معاً بقصة حب منذ طفولتهما .. وفى القاهرة حيث استقرت الأسرة بأحد الأحياء الشعبية عقد قرانه على ابنة خالته .. ثم سافر متوجهاً إلى أثينا ليبحث عن عمل .

وهناك قابل شخصاً يدعى الريس زكريا عرفه على نفسه بأنه رجل دمياطي يبحث هو الآخر عن عمل .. وعندما ضاقت به الدنيا هناك باع له ساعته كي يأكل بثمنها .. وبعد عام من إقامته باليونان بدأت قصته مع الموساد .. حيث تم وضعه تحت المراقبة على مدار شهور عديدة .. بعدها قرروا تجنيده .. ولما اطمأنوا إليه تماماً أعطوه ١٣٠ ألف دولار وأمروه بالعودة إلى مصر ليلعب دوراً ما كانوا يعدونه له .. وهو اختراق خلايا المقاومة الشعبية في مدن القناة التى كان على علاقة طيبة وقديمة بالعديد من رجالها .. وبعد وصوله لمصر مباشرةً وضع المبلغ فى شنطة كبيرة .. وذهب إلى مقر رئاسة الجمهورية وأبلغهم بالأمر .. وأصر على أن يسلم الشنطة بنفسه للرئيس جمال عبد الناصر .. مساهمةً منه فى المجهود الحربي .. فوافق عبد الناصر على مقابلته

وأثنى على وطنيته ووعده بمنحه وسام الجمهورية بنفسه عندما ينتهي من مهمته .. لكن توفى عبد الناصر قبل أن يتم الشوان مهمته في تل أبيب ..

وأمر الرئيس عبد الناصر باصطحابه إلى جهاز المخابرات ليشرح لهم هناك تفاصيل اصطياده من قبل "الموساد" للعمل معهم .. وهناك قابل الريس زكريا الذى لم يكن إلا ضابط المخابرات المصري الذي قابله في اليونان .. وهو نفسه اللواء محمد عبد السلام المحجوب وزير التنمية المحلية .. ومحافظ الإسكندرية السابق فيما بعد..

وأصبح الضابط المسئول عن هذه العملية ..

وفي مصر كان يتعامل مباشرة مع كبار المسئولين عن المخابرات في ذلك التوقيت مثل المشير أحمد إسماعيل والفريق كمال حسن علي .. وغيرهما .. والتقى بكل من الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس أنور السادات شخصياً ..

اعتزال مبكر.. وعودة بأوامر رئاسية ..

وبعد انتصار مصر .. وانتهاء الحرب .. قرر الشوان اعتزال الجاسوسية .. وكان ذلك عام ١٩٧٦ .. وكان السادات على علم تام ومعرفة بكل ما يقوم به من خدمات لمصر .. فأرسل إليه مع أحد ضباط المخابرات يدعوه ليتناول معه العشاء وحضر هذا اللقاء المرحوم المشير أحمد إسماعيل .. وأثناء تناولهم الطعام أخبره الرئيس بأن المخابرات المصرية تعده لأكبر دور له فى تاريخه مع الموساد .. حتى توجه من خلاله أكبر صفعة للمخابرات الإسرائيلية .. وأقنعه السادات شخصياً بأن يعدل عن قراره بالاعتزال .. وقال له: "إذا طلبت منك مصر أن تضع رأسك تحت الترماي فافعل" .. وعندها قرر الشوان الإمتثال لأمر الرئيس .. والاستمرار في العمل ..

وكانت المهمة المطلوبة منه هذه المرة الحصول من المخابرات الإسرائيلية على ذلك الجهاز الصغير جداً.. والخطير .. الذي يستطيع إرسال برقية كاملة في خمس ثوان فقط .. وهو ما كان يمثل وقتها إعجازاً تكنولوجياً غير مسبوق .. كما أن هذا الجهاز لم تكن تملكه إلا إسرائيل والمخابرات المركزية الأمريكية التى صنعت الجهاز ..

وسافر الشوان إلى إسرائيل .. ودخلها بجواز سفر كان الموساد قد أصدره له فيما مضى باسم "يعقوب منصور" .. وكانت مهنته المدونة فيه أنه يعمل سكرتيرا أول بالسفارة الإسرائيلية بروما .. وعندما وطأت قدماه مطار بن جوريون استقبله مندوب الموساد "استقبال الأبطال".. ثم ذهب لزيارة شيمون بيريز وكان وقتها يشغل منصب رئيس "الموساد" ورئيسه المباشر .. وحصل خلال تلك المقابلة على جهاز إرسال حديث يستطيع إرسال برقية في خمسة ثوان فقط تم إخفاؤه في فرشة حذاء .. عندما رآها بيريز أنها جديدة ولم تستعمل من قبل .. نهر الضباط .. وقال "أيعقل أن تكون الفرشاة جديدة" ؟ .. فجلس أسفل قدميه ومسح للشوان حذاءه بالفرشاة بنفسه إلى أن صارت مصبوغة بلون الحذاء ..

شبكة منفذ رفح ..

تزعّم هذه الشبكة دبلوماسي كل من الدكتور عصام الصاوي .. وهو مصري كان يعمل بسفارة مصر في تل أبيب .. ومديرة علاقات عامة بشركة سياحة تدعى نجلاء إبراهيم وهي أيضا لاعبة كرة يد سابقة تعرفت عن طريق ممارسة هذه اللعبة على شخص آخر يدعى خالد مسعد لاعب كرة يد سابق بنادي الزمالك وتمكنت من تجنيده هو الآخر ليساعدها في هذه العمليات المشبوهة وكوّن الثلاثة معاً شبكة قوية للتجسس وتهريب السائحين الأجانب إلى إسرائيل عبر الحدود المصرية عن طريق المنافذ والدروب الجبلية عند مدينة رفح ..

وكانت الصدفة وحدها هى السبب وراء كشف هذه الشبكة حيث بدأت الحكاية عندما وردت لجهات الأمن المصرية معلومات تفيد اختفاء ١٦ سائحا يحملون الجنسية الصينية في جبال ودروب الصحراء المحيطة بمدينة رفح أثناء رحلة سفاري سياحية وأكدت التحريات أن هؤلاء السائحين اختفوا عند الحدود المصرية الإسرائيلية التي عبروا منها إلى داخل إسرائيل ..

وقادت التحقيقات مع الشركة المسؤولة عن نقل هذه المجموعة من السياح إلى أن مسؤولية برنامج الرحلة يقع على عائق مديرة العلاقات العامة وتدعى نجلاء إبراهيم .. وبمجرد استدعائها واتهامها بتهريب السائحين الصينيين إلى حدود إسرائيل اعترفت مديرة العلاقات العامة بالشركة على زميلها في الشركة خالد مسعد الذي وقع هو الآخر في يد الشرطة واعترفا تفصيلياً بكيفية عمليات الهروب وكيفية عمليات الاتصال بالجانب الإسرائيلي لتسهيل هذه العملية عبر الدروب والجبال من رفح إلى الأراضي الإسرائيلية وذلك مقابل ١٨٠٠ دولار على الشخص الواحد..

تهريب وجاسوسية

وكانت المفاجأة التي فجرتها نجلاء إبراهيم المتهمة أن من يقوم بترتيب الاتصال والاتفاق مع الجانب الإسرائيلي لتسهيل عملية هروب الأجانب هو دبلوماسي مصري بسفارة تل أبيب مقابل حصوله على عمولة عن كل شخص يتم تهريبه ..

وبدخول هذا الدبلوماسي في دائرة الاتهام انقلبت القضية من قضية تهريب السياح الأجانب إلى إسرائيل إلى قضية تخابر مع جهاز الموساد الإسرائيلي وهو ما كشفت عنه التحقيقات التي جرت في سرية تامة حيث اتسعت دائرة الاتهام في القضية لتشمل ثمانية متهمين ثلاثة منهم بارزون والباقون عبارة عن موظفين

بالشركة السياحية وعدد من البدو ممن لديهم خبرة بدروب المنافذ الجبلية المؤدية إلى دخول إسرائيل بخلاف عدد من الإسرائيليين الذين يسهلون عملية التنقل للسياح الأجانب داخل إسرائيل .. وكشفت التحقيقات أن هذه الشبكة تمكنت من تهريب عدد كبير من السائحين الأجانب إلى إسرائيل عبر الحدود المصرية وخاصة من دول الصين وروسيا وأوكرانيا ودول شرق آسيا ..

وقد كشفت تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا أن شركة إسرائيلية تسمى "مازدا" مقرها يقع أمام القنصلية المصرية في تل أبيب .. ومملوكة للإسرائيلي "زائفي روفائيل" هى المقر الرئيسي للشبكة المنوط بها عملية تسيير خط النقل ما بين تل أبيب والقاهرة للعمالة الصينية والماليزية والفليبينية وغيرها التي تأتي إلى مصر تحت اسم السياحة ويتم تهريبها إلى إسرائيل عبر المدقات الصحراوية .. وثبت من التحقيقات أن الشركة الإسرائيلية استطاعت تجنيد بعض العناصر أحدهم ماليزي والآخر أفريقي فضلاً عن الثلاثة المتورطين في شبكة التجسس عصام الصاوي ونجلاء إبراهيم وخالد سعد بهدف تشويه سمعة مصر حيث إن الهدف السياسي وراء عمليات تهريب السياح هذه هو إظهار ضعف مصر عن حماية حدودها الشرقية والسيطرة عليها ..

أشرف مروان ..

آخر القضايا التي هزت الرأي العام ليس في مصر ولا إسرائيل فقط .. بل العالم أجمع .. وسيتوقف تاريخ الجاسوسية أمامها طويلاً هى قصة أشرف مروان .. أو (العميل بابل) مثلما أطلقت عليه المخابرات الإسرائيلية ..

القضية استمدت خطورتها مما يحمله بطلها أشرف مروان على عاتقه من أهمية ووضعية خاصة لكونه زوج ابنة أكبر رئيس عربي في القرن العشرين وهو الرئيس

الراحل "جمال عبد الناصر" .. كما أنه كان سكرتيراً خاصاً للرئيس السادات.. وذراعه اليمنى في العديد من العمليات السياسية الخطيرة مثل أحداث ١٥ مايو ١٩٧١ أو ما أطلق عليه فيما بعد "ثورة التصحيح" .. وموفده في العديد من المهام السياسية لكافة الملوك .. والرؤساء العرب أثناء وقبل وبعد اكتوبر ١٩٧٣ .. وفيما بعد رئيساً لمجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع والإنتاج الحربي.. باختصار كان الرجل ذو ثقل سياسي غير مسبوق .. وكان محسوباً على مصر وأجهزة الحكم بها بشكل بالغ الحساسية .. وعندما خرجت بعض الكتابات التي استمد مؤلفوها معلوماتهم فيها من مذكرات وأحاديث خاصة روجها الموساد تدعى أن أشرف مروان كان عميلا إسرائيلياً خالصاً .. وأنه قد أبلغ القيادة الإسرائيلية بموعد حرب أكتوبر قبل اندلاعها .. كان لابد أن تقوم الدنيا.. ولا تقعد.. واستمر الوضع سجالاً بين كل أطرافه .. ولا يوجد من يستطيع أن ينفي.. أو يؤكد هل كان مروان خائناً لوطنه.. أم بطلاً قومياً .. حتي فوجئ العالم أجمع بخبر مصرع أشرف مروان سقوطاً من شرفة منزله بلندن .. فاتسعت دائرة الاحتمالات.. ما بين القتل والانتحار وبقي مصير قضيته معلقاً على مستوى الأوراق الرسمية - حتى كتابة هذه السطور .. بينما كل الشواهد جاءت لتؤكد أن الرجل كان بطلاً بكل المقاييس.. ويكفيه ما قاله "إيلى زعيرا" رئيس الموساد السابق على الهواء مباشرة في إحدى القنوات الفضائية العربية بعد مصرعه بعدة أسابيع أن هذا الرجل كان بطلاً مصرياً من طراز نادر.. وفريد .. استطاع أن يخدعهم طوال فترة اشتغاله معهم.. ولو كان لديهم فى إسرائيل بطلاً مثله لصنعوا له تمثالاً .. يوضع في أهم ميادين تل أبيب[1]..

(١) راجع القصة كاملة فى كتاب "ملف العميل بابل.. حقيقة أشرف مروان .. وأوهام الموساد" الصادر للمؤلف عن دار الكتاب العربى..بالقاهرة..

أسماء أخرى ..

وهناك أسماء أخري لها صولات .. وجولات .. في الصراع المصري الإسرائيلي المخابراتي ..لا يتسع المجال هنا لذكرها .. بعضها معروف قصته تماماً مثل "رفعت الجمال" المولود بدمياط في مصر في يوليو ١٩٢٧ .. والذي اشتهر وعرف إعلامياً باسم "رأفت الهجان" ..

رفعت الجَمال ..

عُرَفَ فى مصر والدول العربية باسم رأفت الهجان وفى إسرائيل "جاك بيتون" رجل الأعمال الشهير.. وانتهت قصته مع عالم الجاسوسية بعد انتهاء حرب ٧٣ حيث غادر الجَمال إسرائيل للمرة الأخيرة بعد أن قضى فيها ١٧ عاماً في خدمة المخابرات المصرية صادق خلالها كبار الزعماء الإسرائيليين مثل رئيسة الوزراء جولدا مائير ووزير الدفاع موشيه ديان .. وتقول الرواية المصرية - التي نفتها إسرائيل - إن الجمال زوّد مصر بتفاصيل فنية خطيرة عن خط بارليف مما ساعد القوات المصرية فيما بعد عن وضع الخطة المثلى لتدميره .

"كاميليا"

و"ليليان كوهين" الفنانة المصرية التي أطلق عليها لقب جميلة جميلات السينما المصرية واشتهرت باسم "كاميليا"(١) تم تجنيدها عن طريق الوكالة اليهودية(٢).

---

(١) راجع كتاب "جاسوسة على عرش مصر" للمؤلف ..

(٢) الاسم السابق للمخابرات الإسرائيلية قبل أن تشتهر وتعرف فيما بعد باسم (الموساد) ..

في الأربعينيات من القرن الماضي في عز تألقها .. وشهرتها الفنية .. حاولت جاهدة الإيقاع بالملك فاروق من أجل تمرير صفقة الأسلحة الفاسدة الشهيرة التي استخدمها الجيش المصري في حربه ضد إسرائيل عام ١٩٤٨ .. ونجحت تماماً في ذلك .. إلا أنها أرادت أن تلعب لحسابها الشخصي .. بعد أن طمعت في أن تصبح أماً لولي العهد.. وبالتالي ملكة على عرش مصر بعد طلاق الملكة فريدة من فاروق الذي كان وقتها قد بات وشيكاً .. وذلك بعد أن استشعرت مدى تأثيرها الشديد على الملك فاروق.. واستطاعت أن تقنعه بالزواج منها .. لكي تلد له ولي العهد الذي كان قد طال اشتياقه إلى مقدمه .. وقررت التوقف عن التعامل مع الوكالة ..التي فشلت في إقناعها بالاستمرار معهما .. وعندها قرروا التخلص منها .. وتم وضع قنبلة زمنية في مخزن حقائب الركاب بباطن الطائرة التي استقلتها عام ١٩٤٩ في طريقها إلى إحدى الجُزر[١] للالتقاء بالملك فاروق والزواج منه هناك .. وبعد ٢٠ دقيقة من إقلاع الطائرة .. وتحديداً فوق مدينة الدلنجات بمحافظة البحيرة.. انفجرت القنبلة .. لتحول الطائرة بكل ما فيها .. ومن فيها إلى رماد في دقائق معدودة ..

"إيلي كوهين"

وعلى المستوى العربي جاء الرجل الغامض "كامل أمين" الذى كان يرتبط بعلاقات خاصة مع القيادات السورية آنذاك... ويصاحب معظمهم فى جولتاهم الخاصة الذى اتضح فيما بعد أنه جاسوس يهودي مصري الأصل اسمه (ايلي كوهين) وتمكن أحد ضباط المخابرات المصرية من اكتشاف حقيقته عندما طالع صورته فى إحدى المناسبات السورية الوطنية يقف مباشرةً خلف الرئيس السوري

(١) الحقيقة أن تحديد اسم الجزيرة أصبح أمراً فى غاية الصعوبة.. نظراً لأنها ذكرت بأكثر من اسم مرة جزيرة رودس.. ومرة جزيرة قبرص...

الراحل "أمين الحافظ" وتذكر أن هذا الشخص كان زميلاً له فى إحدى المراحل الدراسية.. ثم هاجر مع عائلته اليهودية من مصر أثناء هجرة اليهود .. وتم إبلاغ الجانب السوري بعد التحقق من الأمر .. بعدها قبض عليه وأعدم ..

الحقيقة المؤكدة ..

المؤكد أن هناك جواسيس لم يكتشفوا بعد .. كما أن اختراق مصر جاسوسياً هو أمر وارد وحتمي .. فكل دول العالم يتم اختراقها بدرجات متفاوتة مثلما تخترق إسرائيل مصر .. وحتماً أنّ لمصر كذلك جواسيس في إسرائيل .. وهذه مسألة طبيعية لا تعبر أبداً عن أي عجز قد يشار به لأجهزة الأمن ..

أما عن " السلام المزعوم " فالجميع في المنطقة بلا شك يدركون أنه حالة مؤقتة.. وأولهم إسرائيل نفسها التى تتعامل مع الأمر بهدف واضح ومقروء.

وهو أن السلام ما هو إلا هدنة زمنية .. لفترة طالت أم قصُرت فلا بد أن يأتي اليوم الذى تصبح فيه كامب ديفيد .. وأي معاهدة سلام أخرى مجرد حبر على ورق.. المهم هو استغلال هذه المهلة الزمنية أقصى استغلال ممكن .. على الأقل لعزل مصر أو تقليص دورها في الصراع العربي الصهيوني .

وهناك أكثر من دليل مباشر على ذلك فتعمد التليفزيون الإسرائيلي عرض مذابح الأسرى المصريين على أيدي القوات الإسرائيلية عام ١٩٦٧ في سيناء من آن لآخر .. وقبل فترات قليلة من احتفالات مصر السنوية بأعياد تحرير سيناء .. لا يمكن أن يصدر مثل هذا التصرف على الإطلاق من جانب دولة [1] تقول إنها تبحث عن السلام .. كما أن احتفاظها - أى إسرائيل - بمائتي قنبلة نووية.. ورفضها

(١) اعتذر عن استخدام مسمى دولة استثنائياً لوصف الإحتلال الصهيونى .. المؤلف.

الانضمام لمعاهدة حظر الانتشار النووي .. وعدم إخضاع منشآتها النووية للرقابة الدولية .. يسفر تماماً عن حقيقة نواياها للجميع ..

وكل هذا يؤكد أن التجسس لم يتراجع أو ينحسر .. فمعاركه مستمرة .. تتولى إدارتها وتسييرها عقول علي أعلى قدر من الذكاء الشيطاني .. وهى معارك تصدرها أولاً أسلحة الدهاء والعقل .. وتستخدم فيها أكثر تقنيات الجريمة تطوراً في العالم.. قبل القوانين وإجراءات الأمن التي غالباً لا يُعترف بها في هذا العالم .. فالتخابر في النهاية هو جريمة منظمة .. ولابد أن تبدأ مواجهتها علي نفس المستوى..

عودة لـ "العطفي"..

ونعود للدكتور علي العطفي .. لنبدأ رحلتنا معه ..

علـي العـطـفى..بـورتـريـه..

وسر الكتاب المجهول .. !!

الفصل الأول



الفصل الأول

علي العطفى.. البدايات..

وسر الكتاب المجهول.. !!

بـورتـريــه

- وُلد "على خليل العطفى" بحي السيدة زينب" بمحافظة بالقاهرة عام ١٩٢٢.

- وتُوفى بسجن طرة عام ١٩٩٠.

- عرف عنه ذكاؤه الشديد وطموحه الأشد .. .

- توقف به قطار التعليم عند الشهادة الإعدادية .. قبل أن يحصل على شهادة دكتوراه مزورة انضم بناءً عليها لسلك التدريس الجامعى بالمعهد العالى للتربية الرياضية ..

- عمل فى طفولته وبعد أن توقف عن التعليم فى العديد من المهن .. حتى استقر فى مهنة المدلك .. حتى أصبح أحد أهم العاملين بها فى مصر بدءاً من الخمسينيات..

- تمتع بكاريزما خاصة .. وقدرة كبيرة على الإقناع مكنته من سرعة كسب ثقة الآخرين والتواصل معهم وتكوين علاقات على مستوى عالٍ من الخطورة مع العديد من الشخصيات العامة كان فى مقدمتهم السادات شخصياً ..

- تولى منصب أول عميد للمعهد العالي للتمريض بعد بدء الدراسة العملية به .. وذلك بموجب الدكتوراة المزورة التى حصل عليها ..

- **كما تولى الوظائف التالية :**

١- خبير العلاج الطبيعي الذي يمثل مصر في مختلف المؤتمرات العلمية والدولية..

٢- عميد معهد العلاج الطبيعي .. في الفترة من ١٩٧٥ حتى ١٩٧٩.

٣- مسئول النشاط الرياضي بالنادي الأهلي بعد أن عمل لفترة كمدلك .. وخبير إصابات ملاعب بالنادى الأهلي .. وكذلك بعض الأندية الأخرى..

٤- المشرف على قسم العلاج الطبيعي بمستشفى الشبراويشي ..

٥- المشرف على فرقة باليه القاهرة ..

٦- أخصائي العلاج الطبيعي للمرضى من موظفي البنك الأهلي ..

٧- أخصائي العلاج الطبيعي للمرضى من شركة الشرق للتأمين ..

٨- أخصائي العلاج الطبيعي للمرضى من شركة وولتكس العالمية للأصواف..

سفرياته الخارجية :

كما أصبح بدءاً من عام ١٩٧٤ محاضراً دولياً للعلاج الطبيعي وسافر بهذه الصفة إلى كلٍ من :

١- إيطاليا عام ١٩٧٤ وألقى في بعض جامعاتها سلسلة محاضرات مقابل ما يعادل وقتها حوالي ١٥٠٠ دولار.

٢- تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٧٥ وألقى في بعض جامعاتها سلسلة محاضرات مقابل ما يعادل وقتها حوالي ٢٠٠٠ دولار.

٣- الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٦ ضمن اتفاق التبادل الثقافي بين جامعة القاهرة .. ووكالة التعاون الدولي .. وحصل على مبلغ ١٠٠٠ دولار .

٤- كان يسافر في إجازات الصيفية إلى هولندا الموطن الأصلي لزوجته حيث يحاضر هناك ويعمل بشكل مؤقت كمعالج طبيعي ببعض المستشفيات الخاصة.

سر الكتاب المجهول .. !!

عرف الرأي العام اسم علي العطفى كجاسوس مع بدايات الثمانينيات من القرن الماضي .. وذلك على أثر انتشار كتاب يحمل اسم "علي العطفي" كعنوان ومؤلف في نفس الوقت .. انتشر الكتاب بين أوساط المصريين العاملين في الدول العربية في هذا التوقيت الذي كانت فيه الدول العربية تعج بالآلاف من العمالة المصرية هناك.. قال العطفي عبر صفحات الكتاب المنسوب إليه إنه هو الذى قتل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .. وادعى أنه كان مدلكاً خاصاً لعبد الناصر وأنه هو الذى تسبب فى موته عن طريق تدليك جسده وقدميه بكريم مسمم تسبب في إنهاء حياته بشكل مرحلي .. بعد أن كان السم يتسلل إلى الدورة الدموية ببطء ليفسدها تدريجياً..

وأثار الكتاب موجات متتالية من علامات الاستفهام الممزوجة بالغضب الشديد حول: من هذا الـ "عطفي" الذي يدعي أنه قتل عبد الناصر على سرير نومه .. وجاءت الإجابة مقتضبة من بعض من يعرفون صاحب هذا الاسم .. لا تشفي غليل أحد .. ولا تجيب عن أيٍ من علامات الاستفهام تلك .. وبقى الغضب مشتعلاً داخل صدور الجميع .

فقد كان الرجل معروفا طوال حقبة السبعينيات المنصرمة فقط للعديد من الشخصيات المهمة والمعروفة في مصر .. الذين كان يتمتع بصداقتهم جميعاً ..

صداقة ذات نفوذ .. ومصالح متبادلة بين الطرفين .. أما على المستوى الشعبي العادي فلم يكن يعرف عنه الكثيرون شيئاً على الإطلاق ..

وعندما خرج الكتاب للنور .. كان العطفي في نفس التوقيت يقضي عقوبة السجن في معتقل أبى زعبل .. وبلغت به الوقاحة أنه كان يردد ذلك بين زملائه بالسجن.. بل وكان يتباهى بعمالته للموساد .. فقد ذكر شيخ محاميّ مصر وقتها "عبد العزيز الشوربجي" .. وهو الرجل الذي كان خارجاً لتوه من المعتقل[1] حيث كان معتقلا في نفس السجن مع علي العطفي .. أن العطفي أكد واعترف له شخصياً أثناء تواجدهما معاً بالمعتقل أنه قتل عبد الناصر .. وحكى الرجل القصة التي رواها الكتاب المشار إليه ..

وكان ذلك يعني أن المخابرات الإسرائيلية قد تغلغلت داخل بيت الرئيس .. بل وحجرة نومه .. وعلى سرير نومه عبثت بجسده وخلايا ساقيه كيفما شاءت .. وأخذت تحطمها ببطء شديد .. لتسمم القلب الذى كانت تقبع فيه أحلام العروبة كلها .. مستمدة قوتها من دفقات الدم التي يدفعها هذا القلب الذي سممته أصابع الخيانة ليس في جسد ناصر فقط .. إنما في جسد العروبة كلها .. فأي نجاح يستطيع أي جهاز مخابرات أن يحققه أكثر من ذلك ؟!!

وكان لابد للإشاعة أن تنتشر بسرعة شديدة انتشار النار في الهشيم ..

---

(١) كان ذلك في حزب التجمع يوم ١٥ يناير ١٩٨٢ حيث كان الحزب يحتفل ليلتها كعادته فى نفس اليوم من كل عام بعيد ميلاد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر.. وكان الشوربجي ضمن مجموعة اعتقالات ٥ سبتمبر ١٩٨١ والتى بلغ عدد المعتقلين السياسيين بها ١٥٣٦ معتقلاً .. وأفرج عنهم جميعاً الرئيس مبارك بعد توليه الرئاسة مباشرةً وفى سجنه التقى بعلى العطفى الذى ذكر له ذلك الكلام . . (جريدة الأحرار القاهرية ١٤ نوفمبر ١٩٨٢).

فلم تكن هناك عائلة في مصر لا يوجد أحد أبنائها في الخليج .. كما لم يكن هناك بيت لا توجد به صورة للزعيم الراحل ..

طلب إحاطة ..

اشتعل الرأي العام فى مصر وكافة الدول العربية بشكل كبير للغاية بسبب تلك الشائعات .. وبعد أن أصبح اسم العطفى يتردد بين الجميع على هذا النحو.. ووقتها حاول نائب مجلس الشعب "جمال العطيفى"[1] تقديم طلب إحاطة خاص للاستفسار عن وضع الجاسوس على العطفى .. ومدى صحة ما يتردد عن قتله لعبد الناصر .. وهل أفرج عنه .. أم لا ؟ وقيل أن الاستجواب قد تم إجهاضه مبكراً قبل مناقشته بشكل علني في أروقة المجلس لاعتبارات سياسية .. فقد كان من الضروري وقتها إبقاء ملف على العطفى وما آل إليه مصيره طي الكتمان مؤقتاً .

فصدرت أوامر رئاسية من السادات لرئيس مجلس الشعب بشطب طلب الإحاطة من مضبطة المجلس.

والحقيقة ..

وأصبح البعض يرى أن أية شبهة جنائية في وفاة عبد الناصر .. فإنها تتجه إلى "علي العطفي" فوراً .. لكن الحقيقة لم تكن أبداً كذلك .. فبالرغم من أن الرئيس عبد الناصر أصيب بالفعل بجلطة في ساقه اليسرى استدعت سفره للعلاج

(١) كان جمال العطيفى يرتبط بعلاقة نسب مع الرئيس السادات .. ومع ذلك دفعته قوة الشائعة وسرعة انتشارها وترديدها بالشارع المصري لتجاهل ذلك .. ومحاولة تقديم طلب الإحاطة ..

خارج مصر .. وتحديداً في "تسخالطوبو" بالاتحاد السوفييتي .. وأنه احتاج لإجراء عمليات تدليك وإجراء جلسات العلاج الطبيعي من أواخر عام ١٩٦٦ إلى نهاية ١٩٦٧ .. إلا أن الذي تولّى ذلك هو مدلك خاص اسمه (زينهم) كان أحد أفراد طاقم الحراسة الشخصية للرئيس عبد الناصر .. وكان في نفس التوقيت يعمل في جهاز المخابرات المصرية ..

وأن ما روجه الكتاب المشبوه .. والذي كان الموساد بلا شك وراء نشره وتوزيعه بل وما قاله العطفى نفسه .. كل ذلك كان من باب إدعاء البطولة الكاذبة .. بدليل الآتي :

١- أن جهات التحقيق مع العطفي بعد القبض عليه تجاهلت الموضوع برمته ولم تلتفت إلى ادعاءاته التي قالها بعد انتهاء مرحلة التحقيقات الأولى .. وفيها ثبت بالدليل القاطع ومن خلال اعترافاته هو نفسه في تلك الاعترافات استحالة اقتراب العطفي من جمال عبد الناصر .. حيث أن توقيت تجنيد الموساد للعطفى كان من منتصف عام ١٩٧٢ وحتى منتصف مارس ١٩٧٩ .. أى بعد وفاة عبد الناصر وليس فى حياته ..

٢- من واقع أقوال واعترفات العطفي نفسه والمدونة في ملف القضية لم يشر من قريب .. أو بعيد لعلاقةٍ ما جمعته بعبد الناصر .. أو حتى أنه تردد عليه لعلاجه على الإطلاق.

شهادة سامي شرف :

ونأتي لشهادة سامي شرف الرجل الذي كان لصيقاً بالرئيس عبد الناصر ومديراً لمكتبه منذ أوائل الستينيات وحتى وفاته .. فقد أكد في أحد تصريحاته [١] أن العطفى لم يتعامل بأى شكل مادي أو معنوي مع الرئيس عبد الناصر فى أى

(١) جريدة الوفد المصرية يونية سنة ١٩٨٤ .

مرحلة من مراحل حياته وحتى وفاته .. وأنه أى سامى شرف بحكم موقعه الوظيفي وقربه الشديد من عبد الناصر باعتباره مدير مكتبه لفترة طويلة لم يشاهد هذا الشخص أو حتى يسمع باسمه داخل مؤسسة الرئاسة .. وأضاف أنه يعرف بالاسم كل الأطباء الذين كانوا يتابعون الحالة الصحية للرئيس .. وتحدى شرف أن يكون اسم العطفى مدرجاً فى سجلات الزيارة المحفوظة حتى الآن في أرشيف رئاسة الجمهورية والتي كان يُسجل فيها اسم أى زائر.. أو أى شخص يسمح له بالدخول أو الخروج من قصور الرئاسة أو الاستراحات التابعة لها .. وأكد أن كل ما يعرفه عن الرجل سمعه من سيد مرعى رئيس مجلس الشعب فى السبعينيات عندما التقاه بعد خروجه من السجن وأكد له الأخير حقيقة علاقة العطفى بكلٍ من عبد الناصر والسادات وذلك بعد أن تفجرت قضية عمالة العطفى والقبض عليه ..

لكن وبشكل عام كان سكوت الإعلام المصري عن التصدي لهذه الإشاعة .. وتغطية القضية عند الكشف عنها وتجاهلها تماماً هو بمثابة البنزين الذي زاد النار اشتعالاً ..فلماذا وقف الإعلام المصري من هذه القضية تحديداً ذلك الموقف الغريب ؟!

السادات بين الخجل .. والخوف ..!!

الحقيقة التي تكشفت فيما بعد أن صمت الإعلام المصري وقتها كان بتعليمات مشددة من جانب الرئيس السادات الذى كان العطفي للأسف الشديد هو مدلكه الخاص .. بل وواحد من أقرب المقربين له على المستوى الشخصي .. والعائلي .. وعندما تكشفت الحقيقة .. كانت صدمة السادات كبيرة للغاية .. فآثر أن يتلقاها بمفرده دون أربعين مليوناً كانوا هم تعداد المصريين في ذلك الوقت .

ربما خجلاً مما سيكتبه التاريخ عنه وكيف خدع في رجل كان يسلم جسده إليه طواعيةً صباح كل يوم .. ويدخل عليه غرفة نومه .. ويتحدث أمامه بكل حرية .. فآثر أن يكتب التاريخ ما شاء .. في وقتٍ يكون فيه هو بعيداً في عالمٍ آخر ..

وربما صحّ عن السادات ما قيل فيما بعد من أنه أصدر أوامره للصحافة المصرية بالتكتم الشديد على الموضوع امتثالاً لنصيحة نصحه بها "مناحم بيجين" رئيس الوزراء الإسرائيلي نفسه عند كشف القضية حتى لا تؤثر بقسوة ردود أفعالها المنتظرة حال الكشف عنها وتعيق مسار معاهدة كامب ديفيد التي كانت وقت القبض على العطفي فى مارس ١٩٧٩ في مراحلها ولمساتها الأخيرة .. وحتى لا تصبح حجر عثرة في طريق استكمال المفاوضات وتوقيع المعاهدة .

النار تحت الرماد ..!!

وبعد أن مات السادات توارت الإشاعة إلى حين .. لكن كانت النار مازالت تشتعل تحت الرماد .. وبقى الرأي العام مشتعلاً دون الوصول للحقيقة .. التي بقيت غامضة.. كما بقي دائماً اسم علي العطفي هو أحد الألغاز التي تبحث عن من يستطيع أن يفك طلاسم حكايته ..

الفصل الثانى

الفصل الثاني

علي العطفى البدايات .. !!

ولد "على خليل العطفى" بحي السيدة زينب" بمحافظة بالقاهرة عام ١٩٢٢ لأسرة أقل من المتوسطة .. الأب كان يعمل موظفاً بسيطاً بالسكة الحديد .. والأم ربة بيت تُوفيت مبكراً قبل أن يصل ابنها إلى سن الخامسة عشر من عمره .. عرف عن العطفى منذ مراحله المبكرة الأولى ذكاؤه الشديد وطموحه الأشد .. مما جعل والده الموظف البسيط الذى لا يملك من حطام الدنيا أي شيء سوى راتب بسيط لا يتجاوز جنيهات قليلة .. يواصل العمل بكل قوته ليل نهار ليدعم استمرار ابنه الوحيد فى مشواره التعليمي .. لكنه لم يستطع الصمود طويلاً .. ولم تسعفه صحته العليلة .. فتوقف بمشوار التعليم مع ولده الأكبر "علي" بعد حصوله على الشهادة الإعدادية وأصر على إخراجه مبكراً من الدراسة لمعاونته فى مواجهة أعباء الحياة التى كانت قد أثقلت كاهله بشكل أسرهم فى وفاته فيما بعد مبكراً .. وليفسح الطريق أمام باقي إخوته الصغار لمواصلة تعليمهم ..

مهن مختلفة .. !!

وبعد وفاة الأب أصبح على الابن الأكبر أن يتحمل مسئولية أشقائه الخمسة .. ومن مهنة لأخرى تنقل العطفى .. فعمل كصبي فى محل بقالة لخواجه يوناني .. ثم عامل فى أحد الأفران ..بعدها عامل بإحدى الصيدليات .. حتى وجد نفسه أخيراً فى

مهنة المدلك .. وهى مهنة لم تكن معروفة إطلاقاً آنذاك فى الأوساط الشعبية التى كان ينتمي إلى أحدها .. وكان المشتغلون بهذه المهنة فى هذا التوقيت غالبيتهم - إن لم يكونوا جميعاً- من الأجانب .. حيث كان المهتمون وقتها بتلك المهنة بالتحديد هم علية القوم ووجهاء المجتمع .. الذين كانوا لا يريدون إرهاق أنفسهم بممارسة الرياضة .. ويجدوا فى المساج أو التدليك رياضة مريحة غير مرهقة .. وفرصة للاسترخاء النفسي والعصبي .. فكان ما أسهل أن تستسلم أجسادهم المرفهة لأصابع المدلك .. المغموسة فى مختلف أنواع الزيوت والكريمات .. تدغدغ جلودهم .. وتثير لدى معظمهم شهية الثرثرة والكلام .. وكلما كانت آذان المدلك أكثر إصغاءً .. كلما كان الوجيه أكثر كرماً .. من هبات لا يبخلون بها على مدلكيهم.. ثم الأهم وهو المكاسب غير المباشرة عندما يكون العميل شخصية مهمة يمكن توسيطه لقضاء مصلحة أوحل مشكلة ما .. فعمل العطفى أولاً مساعد مدلك .. ومن هنا تعلم كيف يكون مستمعاً جيداً للآخرين .. وكانت تلك أهم صفاته التى جعلته بمثابة الصديق المؤتمن على أسرار أصدقائه .. كما عرف مبكراً قيمة المال ولأنه كان يحتاج إليه بشدة .. لأنه افتقده بشدة .. كان حريصاً تماماً على جمعه بأية وسيلة عن طريق استغلال معارفه هؤلاء والتوسط لديهم لقضاء أمرٍ ما .. أو حل إحدى المشاكل لآخرين .. وكان حرصه أكثر على عدم إنفاقه إلا للضرورة القصوى فخرجت من هنا أكثر سماته الشخصية بروزاً فى تعامله مع الآخرين .. وهى البخل الشديد.

هوجة التأميم .. !!

وبعد فترة من عمله مساعداً لأحد المدلكين الأجانب ..جاءت هوجة تأميم ممتلكات الأجانب فى مصر بعد حرب ٥٦ والعدوان الثلاثي فخاف معظمهم .. وقاموا بتصفية ممتلكاتهم فى مصر والهروب خارجها فى التوقيت الذى كان فيه

العطفى قد اكتسب خبرةً كبيرة فى هذا المجال وأصبح أحد أشهر الممارسين له فانفتح الباب أمامه على مصراعيه ليكون الأكثر شهرة وطلباً من المهتمين بأن يبدأوا يومهم بالاستسلام لأصابع المدلكين..

الأب الروحي ..

وازدحمت أجندة العطفى بمواعيده مع هؤلاء .. وأصبح له مساعدوه الذين يحملون له حقيبته وهو ينتقل من بيت هذا الوجيه .. إلى فيللا ذلك المسؤل .. إلى قصر ذلك الباشا .. بالشكل الذى جعله يطلق على نفسه "الخبير" ويضيفها كصفة تسبق اسمه على كارته الشخصي الذى كان يقدمه للآخرين .. كما كان يعتبر نفسه "الأب الروحي لعلم التدليك فى مصر".. وأصبح له علاقات متعددة.. ومتشعبة.. بشخصيات علي قدر كبير من الأهمية ذات نفوذ واتصالات .. خاصةً في الأوساط والمجتمعات الراقية .. ساعده على ذلك انضمامه أيضاً في هذا التوقيت لقائمة مدربي اللياقة البدنية بالنادى الأهلي .. حيث ملتقى الصفوة من رجال الأعمال .. والسياسيين .. والشخصيات العامة بمصر آنذاك .

كاريزما خاصة ..!!

وكان علم العلاج الطبيعي .. والطب الرياضي .. وإصابات الملاعب فى مصر وقتها -وبشكل عام- هى أشياء مستحدثة لا يعلم عنها أحد شيئاً .. فبرع العطفي بما يملكه من "كاريزما خاصة" في فرض نفسه على الجميع من خلال تميزه الفعلي في هذا المضمار .. وكل ذلك جعله ينضم إلي قائمة مدربي العلاج الطبيعي بمعاهد التربية الرياضية فى مصر .. حيث بدأت دراسة هذا العلم داخل تلك المعاهد عام

١٩٥٤ تحت إشراف منظمة الصحة العالمية .. قبل أن يُنشئ له فيما بعد شعبة مستقلة داخل المعهد العالى للتربية الرياضية ..

العطفي مدرساً جامعياً..

وفي عام ١٩٥٦ بدأ المتميزون من خريجي تلك المعاهد الذين تخصصوا فى العلاج الطبيعي إرسالهم فى بعثات مختلفة إلى الولايات المتحدة .. والاتحاد السوفيتي .. وألمانيا الغربية .. لاستكمال دراستهم هناك ..

وبدءاً من عام ١٩٥٩ بدأ هؤلاء يعودون إلى مصر وهم يحملون شهادات الدكتوراه.. مما طرح ضرورة إنشاء معهد عالى متخصص في العلاج الطبيعي فى مصر .. وفي عام ١٩٦٢ تمت الموافقة على ذلك لكن على أن يتم أولاً إنشاؤه كشعبة متخصصة بالمعهد العالي للتربية الرياضية .. ولأنه كان يخفي عن الجميع حقيقة مؤهله فقد أشاع أنه حاصل على بكالويوس تربية رياضية .. فتم ضمه إلى هيئة التدريس بالمعهد كمحاضر في تخصصه ..وخبير مساج وتدليك ..

العطفي في بعثات دراسية ..

وفي عام ١٩٥٨ أرسل العطفي إلى ألمانيا الشرقية فى بعثة تدريبية رسمية للتدريب على العلاج الطبيعي .. وعام ١٩٦٣ لم يصدق العطفى نفسه عندما وجد اسمه بين كشوف من تمت الموافقة على ترشيحهم للسفر إلى الولايات المتحدة ضمن إحدى المنح الدراسية التي تم إرسالها وقتها إلى أمريكا لدراسة هذا العلم المستحدث

بها.. أحس العطفى للمرة الأولى أنه يستطيع أن يحقق حلم حياته الأكبر .. ويحصل على شهادة جامعية .. بعد أن تخطاه الفقر الذي كان كشبحٍ يطارده ويبحث عنه دائماً..

العطفي طالب الإعدادية الذي تحول لأستاذ جامعي ..!!..

واستمر في بعثته حتى عام ١٩٦٥ بعدها عاد إلى مصر .. حيث تمت ترقيته إلى درجة أستاذ مساعد بالمعهد .. ثم أستاذاً للدراسات العليا[١] .. بمعاهد التربية الرياضية .. وأستاذاً لمادة الإصابات بها .. وها هو أيضاً يعين بالمعهد ويتجسد أمام عينيه حلم حياته الآخر بالانضمام لهيئة تدريس جامعية .. ها هي الحياة تعود لتبتسم له بالطريقة التي عاش حياته يتمناها .. وأصبح يكتب في بطاقة تعارفه اسمه قبل صفة الدكتور .. بل الأستاذ الدكتور علي العطفي ..

العطفي عميداً للمعهد العالي للعلاج الطبيعي..!!..

وفي عام ١٩٦٩ .. وبعد أن تم انتخابه رئيساً للاتحاد المصري للعلاج الطبيعي.. تم إنشاء المعهد العالي للعلاج الطبيعي بشكل مستقل .. وفي المرحلة التمهيدية قبل بدء الدراسة بالمعهد تم إسناد عمادته إلى دكتورة تدعى "فوقية عزب سليم" .. لكنها تقدمت باستقالتها من عمادة المعهد دون إبداء أسباب .. وسافرت للكويت حيث أقامت هناك بصفة نهائية .. وتولى على العطفى المنصب بعدها عام ١٩٧٢

(١) بحسب ما جاء بحيثيات الحكم الصادر عن محكمة القيم في ١٥ أكتوبر ١٩٨٠ برئاسة المستشار الدكتور أحمد خفاجى .. بخصوص وضع أمواله وممتلكاته هو وزوجته وأولاده القصر تحت الحراسة.. انظر ملف الملحقات.

مباشرة أصبح اسمه من وقتها الأستاذ الدكتور على العطفي .. وبقى في هذا المنصب حتى تم القبض عليه في ١٨ مارس ١٩٧٩.

علاقات خاصة ..

وبعد أن تولى العطفي عمادة المعهد زادت علاقاته بشكل كبير .. فارتبط بصداقات شخصية .. وعلاقات قوية جداً مع الكثير من الشخصيات المهمة .. والمؤثرة في مصر .. ومن بين جميع صداقات وعلاقات العطفي نتوقف تحديدا عند الأسماء التالية لخطورة مسار العلاقة بينه... وبينهم .. وما أدت إليه من نتائج:

١- كمال حسن على رئيس الوزراء المعروف.

٢- عثمان أحمد عثمان .. نسيب السادات .. ووزير التعمير .. والأهم .. فهو الرجل الذي وصف بأنه أكثر الأصدقاء تأثيراً وقرباً من السادات.

٣- عبده صالح الوحش ..

وأغلب الظن أن "كمال حسن على" رئيس الوزراء .. وعثمان أحمد عثمان .. تحديداً هما اللذان توليا تقديم العطفي للرئيس السادات .. وترشيحه للانضمام إلى طاقمه الطبي لعلاقتهما القوية معه .. ولولاهما ما استطاع العطفي الدخول إلى مؤسسة الرئاسة بسهولة ..

وعبده صالح الوحش .. ذلك الرجل الذي كان مفتاح دخوله إلى الوسط الرياضي بشكل عام .. ومنه إلى المعهد العالي للتربية الرياضية .. وجاءت العلاقة بينهما أثناء نجومية عبده صالح الوحش كلاعب كرة بالنادي الأهلي .. وحيث كان العطفي يعمل مدلكاً بالنادى .. مما سهل له تماماً فيما بعد .. فرض اسمه عند ترشيح مجموعة

من خبراء التدليك وإصابات الملاعب للتدريس في قسم العلاج الطبيعي بالمعهد العالي للتربية الرياضية .. ثم تدرجه من مجرد محاضر بالمعهد .. إلى مدرس .. ثم استاذ للعلاج الطبيعي في المعهد المتخصص في ذلك بعد إنشائه .

وارتبط الاثنان ببعضهما البعض ارتباطاً كبيراً حتى أنهما تزوجا معاً من صديقتين تعرفا عليهما معاً أثناء إحدى سفرياتهما المشتركة إلى أمستردام في نهاية الخمسينيات .

العطفي رئيساً للبعثات الجامعية ..

ورأس العطفي بعثة مصر الرياضية المشاركة في إحدى دورات الجامعات للنشاط الرياضي .. التي أقيمت بدولة "غانا" عام ١٩٧٥ .. وذلك بوصفه عميد المعهد العالي للعلاج الطبيعي .. والمفاجأة أن هذه البعثة ضمت أسماءً لها شأنها في مصر.. وقتها .. وفيما بعد .. منهم[١]:

١- صوفي أبو طالب .. رئيس مجلس الشعب .. ومحافظ القاهرة فيما بعد ..

٢- الدكتور حسن حمدي .. عميد كلية طب قصر العيني .. ورئيس جامعة القاهرة فيما بعد.

٣- الدكتور إيهاب اسماعيل .. نائب رئيس جامعة القاهرة .

٤- يوسف أبو عوف .. مسئول الرياضة في وزارة الشباب قبل إلغائها.

٥- محمد لطيف .. المعلق الكروي الشهير.

---

(١) سامي شرف .. جريدة الوفد القاهرية .. ١٧ ديسمبر ٢٠٠٤.

وهناك في العاصمة الغانية "أكرا" لوحظ أنه كان كثير التغيب عن حضور اجتماعات البعثة على غير عادته .. وكان لا يهتم بمتابعة شؤون أفرادها .. كما كان مهتماً بالفصل بين الجنسين من أفراد البعثة حرصاً على التمسك بالقيم الدينية .. والعادات الشرقية .. وعند عودة البعثة من غانا هاجمه الصحفيون المرافقون للبعثة على صفحات جرائدهم ومجلاتهم بضراوة متهمين إياه بالإهمال الشديد .. لكنه لم يلتفت لكل ذلك واستمر في طريقه صاعداً إلى حيث مجده الشخصي .

العطفي وزوجته الهولندية ..

وبزواج العطفي من تلك الفتاة الهولندية "آنا ماريا جوهانس" التي تعرف عليها مع صديقه الوحش .. تمكن من الحصول على الجنسية الهولندية .. مما جعله يسافر ويعود بحريته من وإلى أمستردام كيفما شاء مستخدماً جواز سفره الهولندي .. كغطاء لأعماله المخابراتية .. وحتى يتمكن من لقاء ضباط متابعته في الموساد بحرية شديدة .

العطفى والموساد!!

الفصل الثالث

الفصل الثالث

العطفي والموساد !!

قصة تجنيد العطفي بواسطة المخابرات الإسرائيلية رُوِيّتْ بأكثر من طريقة .. لكن الرواية الأكثر تصديقاً هى التى تبنتها أوراق التحقيق في القضية .. وجاءت على لسانه هو شخصياً..

قصة وهمية ..!!

فعند إلقاء القبض عليه .. ذكر أولاً قصة وهمية مفادها أنه أثناء إحدى زياراته لأمستردام تعرف هناك على فتاة هولندية في أحد الملاهي الليلية .. وبعد فترة من تعرفه عليها فوجئ بها تدعوه ليتعرف على أحد أصدقائها وقدمته إليه على أنه تاجر يريد أن يشاركه في بعض المشاريع التجارية بمصر .. وفيما بعد عرف أن هذا الشخص أحد رجال المخابرات الإسرائيلية ..

كانت هذه الرواية بالنسبة للعميد محمد نسيم تبدو وهو يسمعها من العطفي كسيناريو فيلم ساذج من وحى خياله تضج أحداثه بالكذب .. ولا أساس له من الصحة .. وبالضغط على العطفي تم انتزاع الحقيقة التي توافقت مع سابق التحريات التي تم جمعها حول القضية ..

الحقيقة على لسان العطفي ..!!

اعترف العطفي بأنه هو الذي ذهب بنفسه لمقر السفارة الإسرائيلية بأمستردام.. وعرض عليهم خدماته .. وهناك في المرة الأولى ،، وعلى مدار عدة ساعات من الانتظار أولاً .. ثم مجيئ مندوب الموساد لاستجوابه .. تم تقييم الموقف ككل .. ثم تركه ثانية حيث كان يجلس بإحدي غرف السفارة .. وعاد إليه بعد حوالي نصف ساعة .. ليخبره أنه اتصل بقادته في تل ابيب .. ووعدوه بدراسة العرض المقدم منه.. وأنهم سيأخذونه بعين الاعتبار .. وطلب منه مندوب الموساد العودة ثانية إلى مصر .. وهم سيتولون الاتصال به في الوقت المناسب .. وعليه ألا يسعى هو لذلك مهما طالت المدة .

امتثل العطفي للأمر .. وعاد بعد عدة أيام إلى مصر .. بينما طار ضابط الموساد إلى "تل أبيب" لدراسة العرض الذي تقدم به العطفي بشكل أفضل مع مرؤوسيه..

وعلى مدار ما يقرب من ثلاثة أشهر .. ودون حتى أن يدري العطفى تمت مراقبته جيداً .. ومرّ بالعديد من الاختبارات المباشرة .. وغير المباشرة .. كان ينجح فيها جميعاً بامتياز ودون أن يدرى .. فاختبارات اكتشاف واختيار الجواسيس كثيرة ومتعددة .. وتتم بكل دقة لانتقاء الأكثر ملائمة للعب الدور المطلوب .. فقد مر العطفى مثله مثل غيره من كافة العملاء الذين يقع عليهم الاختيار للعمل مع أجهزة المخابرات بالمرحلة الأولى وتشمل ثلاث خطوات أساسية لعملية التجنيد والاختراق هى كالآتي :

١- اكتشاف الجاسوس .

٢- تقييمه .

٣- تجربته .

وذلك قبل أن تأتى المرحلة الثانية وهى اعتماده عميلاً مخابراتياً وفيها يمر أى جاسوس بمرحلتين :

التدريب .. ثم التشغيل ..

ثم تأتى المرحلة الأخيرة وفيها يتم إنهاء التعامل مع الجاسوس .. إما بإعطائه مكافأة نهاية خدمة مناسبة لما قام به من أعمال وإنهاء ملفه مع وضعه بشكل دائم تحت المراقبة المستمرة .. أو تسفيره لأية بلدٍ أخرى غير بلده الأصلي فى حالة الخوف من اكتشاف أمره .. أو تصفيته وإرساله إلى قبر أسراره إذا كان ما بحوزته معلومات وأسرار يخشى كشفها .. أواستغلالها لمصلحته الشخصية فيما بعد..

فكيف دارت مع العطفي أحداث كل مرحلة من المراحل الثلاث .. بمختلف خطواتها.. ؟

العطفى .. الرجل المناسب !!

الحقيقة أن العطفى بسعيه إلى المخابرات الإسرائيلية قد كفاهم تماماً خوض مرحلة الاكتشاف .. بكل متاعبها وصعوبتها .. فهذه المرحلة تستدعي رصد ومتابعة عن قرب وكثب لتصرفات الشخص الذى تنطبق عليه المعايير المطلوبة لاكتشافه وتحديده .. ومن أهم معطيات تلك المرحلة أن يكون الشخص الواقع عليه الاختيار له نقاط ضعف واضحة يتم من خلالها السيطرة عليه وتجنيده.

فبعد البحث والتدقيق في ماضي العطفي الشخصي عن طريق عملائهم داخل مصر .. ومن خلال تحريات سرية تم رسم صورة حقيقية كاملة عن حياته .. وجدوا فيه نموذجاً تنطبق عليه كل شروطهم تتجمع فيه كل نقاط الضعف التى يستطيعون من خلالها السيطرة على أى فرد كيفما شاؤوا ..

فهو بشكل عام لديه استعداد فطرى للخيانة .. وفعل أى شيء مقابل الحصول على ما يعوض لديه عقدة النقص لفشله في مواصلة تعليمه.

وعند بحث توجهاته الأيدلوجية .. واهتماماته السياسية .. والوطنية .. ثبت أن العطفى أبعد ما يكون عن مثل تلك الاهتمامات .. وتم رصد الكثير من محداثاته مع العديد من زملائه .. وأصدقائه فقد كان كثيراً ما يسخر خلالها مما يسميه زملاؤه بالمبادئ التي يجب أن يلتزم بها المواطن نحو وطنه ..

كما أنه منذ اللحظات الأولى اتضح لضباط المتابعة من الموساد أن عميلهم المرتقب نقطة ضعفه الأولى هى المال .. فتم توجيه الضابط المكلف بالتعامل معه فيما بعد أن يضرب بكل قوته على هذا الوتر .. فهو أقصر الطرق للسيطرة عليه ومدخلهم الأول إليه .

العطفى عميل مطيع .. !!

والحقيقة أيضاً أن علي العطفى لم يضطرهم أبداً للتعامل معه من منطلق عدم الاطمئنان من ناحينه إطلاقاً .. بعد أن ثبت لهم بالدليل القاطع أنه شخص مبدأه في الحياة هو المال .. ووطنه هو مصلحته الشخصية .. وبين الاثنين لم يكن العطفى يعمل أي حساب لأية اعتبارات أخرى .. لا وطنية .. ولا إنسانية .. لذلك كان ما أيسر تجنيده .. ثم التأكد فيما بعد من إخلاصه المطلق لهم .. بعدها تم الموافقة على اعتماد العطفى كعميل جديد .

المرحلة الثانية .. التدريب .. ثم التشغيل ..

بمجرد الموافقة على تجنيد العطفي تم الاتصال به في مصر من قِبل أحد عملاء الموساد .. وطلب منه سرعة السفر خلال أسبوع إلى أمستردام .. وهناك سوف يعرف الباقي .. وبعد أربعة أيام فقط كان العطفي يسير منفرداً في ميادين العاصمة انهولندية .. وبالقرب من إحدى الحدائق العامة هناك اصطدمت به فجأة وبقوة إحدى الفتيات .. لدرجة أنه كاد أن يقع على الأرض .. لكنها تمكنت منه وهي تمسكه من ذراعه .. بينما تعتذر له بلكنة عربية شامية عن اصطدامها به دون قصد بهذا الشكل .. وحاولت أن تساعده ليجلس على أقرب مقعد في الحديقة .. كانت في نفس اللحظة قد وضعت في جيب بالطو العطفي .. ودون أن يدرى ورقةً مطوية .. وتركته بعد أن مالت عليه تقبله قبلة اعتذار وهى تهمس له ..

دكتور عطفي .. اقرأ الورقة اللي في جيب البالطو بعد ما أنا أمشي ..

فوجئ العطفي بالفتاة تناديه باسمه .. وفي ثوان معدودة اختفت الفتاة وسط المارة .. وكأنها قد تبخرت .. مد العطفي يده في جيب البالطو حتى عثر على الورقة..

كان بها عنوان مطلوب منه أن يذهب إليه في موعد محدد .. في نفس اليوم .. وبعد عدة ساعات فقط ..

كان العنوان يقع في أحد شوارع أمستردام الهادئة .. وعندما وصل العطفي إلى ناصية الشارع الذى كان مفتوحاً من اتجاه واحد .. ومسدوداً من الاتجاه الآخر .. وبمجرد دخوله عدة أمتار قليلة فوجئ بسيارة سوداء كانت تقف داخل الشارع تندفع نحوه .. وتقف بمحاذاته تماماً .. ثم ينزل السائق زجاج السيارة المجاور للعطفي .. ويطلب منه الركوب بسرعة وهو يفتح له الباب .. هبط العطفي برأسه لأسفل قليلا ليتعرف على محدثه .. ففوجئ بأنها نفس الفتاة الجميلة التي اصطدمت به قبل عدة ساعات ..

حاول العطفي كثيراً أن يستفسر من الفتاة على أي شيء: إلي أين يذهبان ؟.. من هي الفتاة .. كانت الفتاة لا ترد علي الإطلاق .. وفي النهاية قالت له جملةً واحدة ..

دكتور عطفي .. ماتستعجلش .. دقايق .. وهتعرف كل حاجة ..

استسلم العطفي لما قالته الفتاة .. التي كانت نبرة حديثها قاطعة .. وحازمة .. وكأنها تأمره .. فآثر عدم المجادلة معها كثيراً .. خاصةً أنه كان على يقين بأنها من الموساد .. وإن ما تفعله مجرد إجراءات أمنية معتادة ..

وأمام إحدى البنايات الواقعة ضمن أحد أحياء أمستردام النائية .. توقفت الفتاة بالسيارة .. وطلبت من العطفي النزول .. وبمجرد نزوله .. ومن قراءته لليافطة المعلقة على المكان أدرك أنه في ناد للعراة .. دخلت الفتاة وأمرته بأن يتبعها .. ومن داخل صالة النادي التى لم يكن بدأ وقتها في استقبال زبائنه .. دخلت به الفتاة إلى إحدى الغرف لها باب سري يقع خلف البار الفرعي الصغير بالصالة ..

بداية التدريب .. !!

عندما دخل العطفي إلي تلك الغرفة .. وجد شخصاً ملامحه مصرية تماماً.. ولكنته كذلك .. قام من على المكتب ليرحب به بحفاوة شديدة .. وعرفه بنفسه قائلاً إنه يدعي "إيلى برجمان" وهو الضابط المكلف بمتابعته .. وتدريبه من الآن فصاعداً.. وأبلغه أنه ولدً .. وعاش حياته الأولى كلها في مصر .. قبل أن يهاجر منها مع أسرته اليهودية ذات الأصل البولندي ليقيموا جميعاً في إسرائيل بشكلٍ نهائي ..

وفي هذا اللقاء تم الاتفاق على كل الأمور الأخرى .. خاصةً الأمور المادية.. وعرف العطفي أنه سوف يخضع من صباح الغد لمعسكر تدريبي .. في إحدى المدن الواقعة في شمال البلاد .. وعليه من باكر أن يدفع حساب الفندق الذي يقيم فيه بشكل عادي .. ويجيب من يسأله عن سبب مغادرته المفاجئة للفندق بأنه ذاهب في رحلة استجمام وسياحة داخلية في الريف الهولندي .. وتسلم العطفي أول دفعة مالية من "برجمان" الذي أخبره أنه هناك في محطة القطار سيجد في الصباح الباكر من ينتظره علي الرصيف رقم (٣) ليعطيه تذكرة السفر .. وورقة بها اسم وعنوان الفندق الذي حجز له للإقامة فيه ..

صباح اليوم التالي للمقابلة .. كان العطفي واقفاً على الرصيف (٣) فى محطة القطار بأمستردام وهو يحمل شنطة سفره "الهاند باج" على كتفه .. عندما اقترب منه أحد الأشخاص وألقى عليه بتحية الصباح باللهجة المصرية .. ثم سلمه ظرف أبيض صغيراً به تذكرة السفر .. والورقة التي بها عنوان الفندق ..

بعد أربع ساعات من السفر .. وصل العطفي إلى حيث ألقى بجسده المنهك على سرير غرفته بالفندق .. كانت التعليمات التي تلقاها من برجمان صريحة .. تصرف بشكل طبيعي تماماً .. ومارس حياتك كسائح جاء للاستمتاع بالحياة في الريف الهولندي ..

وفي اليوم التالي .. وبينما هو يتناول طعام الإفطار بالفندق .. فوجيء بشخص يطلب منه مجالسته على نفس الترابيزة لعدم وجود ترابيزة أخرى خالية .. رحب به العطفي .. وبعد أن تعرفا على بعضهما البعض .. وعرف العطفي أنه سائح إيطالي جاء هو الآخر للفسحة والتنزه في الريف الهولندي .. عرض عليه الإيطالي مرافقته في جولته السياحية هذا اليوم .. وأكد له أنه من تكرار زيارته إلى هولندا أصبح خبيراً سياحياً بالأماكن التي يستطيع السائح الجديد زيارتها والاستمتاع بها .. ولأن التعليمات التي كان العطفي قد تلقاها لا تتعارض مع ذلك .. وافق العطفي.. وخرج الإثنان .. وبعد حوالي ساعتين من التنزه .. والتنقل من مكانٍ لآخر .. طلب الإيطالي من العطفي أن يذهبا معاً إلى أحد الكافيهات للاستراحة قليلاً .. وشرب كوب "نيس كافييه" .. وافق العطفي علي الفور فقد كان هو الآخر قد بدأ يشعر بالتعب .. وبعد عدة دقائق من جلوسهما معاً استأذن الإيطالي للدخول إلى دورة المياه .. وبعد أن قام من مكانه .. جاء الجرسون ليطلب من العطفي ..أن يذهب معه إلى مكتب مدير المحل للضرورة .. اندهش العطفي لكنه قام معه .. ومن أحد الأبواب السرية داخل دورة المياه .. اصطحبه الجرسون إلى غرفة أخري .. حيث وجد الشخص الإيطالي .. يجلس أمام "برجمان" والاثنان ينظران إليه وهما يبتسمان .. ضحك العطفي بصوتٍ عالٍ .. وضرب كفاً .. بكف ..

وعندها سأله برجمان .

دكتور عطفي .. هل تستطيع أن تأتي هنا إلي هذا المكان بمفردك مرةً أخرى..

رد العطفي بالإيجاب .. فأخبره برجمان أن هذا المكان هو الذي سيتم تدريبه من خلاله .. وأن عليه أن يخرج يومياً من الفندق في السابعة صباحاً ليشترى الجرائد.. ثم يأتي إلى هذا المكان ويجلس ليقرأها .. ويتناول قهوته .. وفي الوقت الذي سيطالبه الجرسون فيه بالحساب .. وبعد أن يدفعه له يقوم ليدخل إلى دورة المياه .. حيث

يوجد الباب السري الذي جاء منها .. ليدخل إلى الغرفة التي ستكون مكان تدريبه فيها على مدار الخمسة عشر يوماً التالية ..

وقبل أن يبدأ العطفي فترة تدريب الأولى كان لابد من أن يتبع معه إجراء مهم.. وهو عرضه علي جهاز وخبراء كشف الكذب .. وتم ذلك في أحد مقار الموساد الأخرى في العاصمة الهولندية في اليوم الأول قبل تدريبه ..

بعدها بدأ العطفي تدريبه الفعلي .. حيث تعلم خلال تلك المرحلة طرق استعمال الأجهزة والآلات التي سوف يحتاج إليها وسُلّمَتْ إليه فيما بعد في مصر مثل كاميرا تصوير دقيقة وصغيرة للغاية بهدف تصوير الوثائق والمستندات .. وجهاز لاسلكي خاص للاتصال بهم .. وبعض زجاجات الحبر السري .. وكتاب يبدو من شكله الخارجي أنه كتاب عادى بينما هو أهم الأدوات التى تدرب عليها العطفى .. وهو كتاب فك الشفرة .. وكذلك بعض الأدوات الأخرى .. كما تخلل تلك المرحلة برامج خاصة لإعداده نفسياً حتى يتأكد ويتيقن تماماً من كفاءة جهاز المخابرات الذى يعمل لصالحه .. وقدرته على حمايته متى احتاج إلى ذلك .. وكان العطفى متجاوباً تماماً مع فريق العمل الذى يقوم بتدريبه .. ويتجاوز كل المراحل التدريبية بسرعة شديدة .. وبشكل عام أصبح العطفى بعد انتهاء فترة التدريب يواجه الحياة بصورة أخرى مختلفة تماماً عما سبق .. بعدها سمح له بالعودة إلى مصر ..

فى البداية كان برنامج التدريب الذى خضع له العطفى يتركز على تأهيله ليصبح فقط عميلاً خاصاً لهم فى مصر بعد عودته إلى هناك .. وتجهيزه ليكون نواة لشبكة جاسوسية جديدة يتم تشكيلها الهدف الأساسي منها اختراق الوسط الطبي الأكاديمي فى مصر .. لكن تم تغيير سيناريو التأهيل وإعداده لدور أكبر من ذلك بكثير .. دوراً فكر فيه ضابط الموساد ولم يكن ليتوقع إطلاقاً موافقة رؤسائه عليه وهو يطرحه عليهم هناك فى تل أبيب ..

الفكرة المجنونة .. !!

ففي ذات يوم جلس برجمان يتابع تدريب العطفى على إحدى مهامه .. كان فى قرارة نفسه يشعر بكل الإعجاب والرضا عن عميله الجديد وبما يحققه من تقدم هائل فى مراحله التدريبية .. وبعد أن أثبت العطفى للجميع أنه الصيد الثمين الذى كانوا يبحثون عنه من فترة طويلة .. وفجأة خطرت له فكرة وصفها فيما بعد بأنها فكرةٌ مجنونة .. لكنه راهن بينه وبين نفسه على تحقيقها .. وعلى الفور قام بالاتصال برئيسه المباشر فى تل أبيب .. وطلب تحديد عاجل هام وعلى وجه السرعة معه هناك ..

وبعد ٢٤ ساعة كان برجمان يجلس فى مكتب رئيس المخابرات الإسرائيلية يحاول إقناعه بفكرته .. وبعد إلحاح وإصرار من جانب برجمان طلب منه رئيس المخابرات إعداد تقرير وافى عن موقف عميله الحالي .. وما حققه من نتائج فى برامج تدريبه.. واقتراحه الجديد بشأنه .. وأعطاه فرصة ٤٨ ساعة لتجهيز كل ذلك .. ثم أصدر رئيس المخابرات الإسرائيلية أوامره لسكرتارية مكتبه بدعوة كل رؤساء الإدارات الفرعية والداخلية بالموساد للاجتماع بعد ٤٨ ساعة فى مكتبه للضرورة القصوى ..

دعونا نجرب .. !!

اجتماع مهم فى مكتب رئيس الموساد نفسه ..

"برجمان" يجلس مع قادته حول ترابيزة الاجتماع وهو يتحدث بمنتهى الحماس عن عميله الجديد ومدى إخلاصه للجانب الإسرائيلي .. ذلك الإخلاص الذى

صارح رؤساءه إنه لا يجد له مبرراً مقنعاً أكثر من كراهية العطفى الشديدة لمصر ولنظام الحكم بها .. وعندها ردّ عليه رئيس الموساد أنه تحدث مع رؤساء الأفرع الداخلية للجهاز حول اقتراحه .. وأعطاهم نبذةً سريعةً عنه دون تفاصيل .. وأبدى تخوفه من إمكانية تحقيقها وقال له أمام الجميع .

رغم بريق الفكرة .. إلا أنها خطيرة .. تنفيذها شبه مستحيل .. خاصةً أن العميل الجديد الذى يراهن عليه "برجمان" مازال يحبو فى عالم خطير .. وجديد عليه تماماً .. عندها قال "برجمان".. أنه يتحمل المسؤولية كاملة .. فرد عليه رئيسه:.

إذن نطرح الموضوع للتصويت .. ولكن وبإسهاب شديد .. وبأدق التفاصيل اعرض على السادة رؤساء الفروع اقتراحك ..

فتح برجمان حقيبته الخاصة .. وأخرج منها مجموعة من الملفات .. وسلم كل واحد من الحضور نسخة منها .. وبدأ يتحدث ..

برجمان: الفكرة باختصار شديد تنبع من تخصص دكتور عطفي وندرته وحداثته فى مصر .. حيث يعتبر العلاج الطبيعى هو أحدث التخصصات الطبية هناك .. وبناءً على ذلك فقلة عدد الأطباء والأساتذة فى هذا التخصص سوف تعطى فرصة كبيرة لدكتور عطفي للتميز فى مجاله .. وبقليل من المساعدة العلمية والعمل على أن تتم دعوته لحضور مؤتمرات طبية كبيرة على مستوى العالم .. ثم إمداده دائماً بالحديث من الأدوية والكريمات الخاصة مما لا يتوافر لغيره من العاملين فى نفس المجال سوف يبزغ اسمه فى مصر بشكل غير مسبوق .. وحتماً مع قليل من التلميع الإعلامي مدفوع الأجر فى الصحافة المصرية .. والعربية.. سيكون من بين المترددين عليه شخصيات على قدر كبير من الأهمية .. على كل المستويات

سياسية .. وعسكرية .. وبالتالي سوف يصبح لدينا عيناً قريبة جداً من معاقل صنع القرار .. ونستطيع بذلك اختراق كل الدوائر الهامة فى كل مصر ..

وأستطيع أن أؤكد أن دكتور عطفي بلا أدنى شك يستطيع أن يلعب ذلك الدور بكفاءة شديدة ..

ويبقى أهم دوافع تفكيري .. وهو احتمال سوف نحاول الوصول إليه بكل حيلة ممكنة .. يتمثل فى حرص الرئيس السادات على وجود مدلك خاص به فى طاقم الأطباء الذى يتابع حالته الصحية بشكل يومي .. عادةً ما يكون هذا الشخص مجرد مدلك متمرس .. والسبب كما قلنا هو ندرة المشتغلين بالطب الطبيعى فى مصر .. فماذا لو حاولنا طرح اسم العطفى ليكون المدلك الخاص بالرئيس .. كيف .. ومتى.. وهل نستطيع ؟ لاشك أن الأمر لن يتم بسهولة .. وسيحتاج إلى وقت ليس بالقليل.. لكن علينا محاولة الوصول لذلك .. فالأمر بلا شك يستحق .. حيث إن استطعنا ذلك سنكون قد اقتربنا كثيراً من مؤسسة الحكم فى مصر بصورة غير مسبوقة .. بل وستكون حياة السادات نفسه بين أيدينا .. وفى أثناء محاولتنا الوصول لذلك سيكون العطفى يسير فى نفس الطريق المرسوم له من البداية وهو اختراق الوسط الأكاديمي الطبي فى مصر .. أى أن الهدف الأول من العملية ككل سوف يظل باقياً.. وسنصل إليه .. الفرق الوحيد أننا لن نحاول تكوين شبكة جاسوسية متكاملة من خلاله على الأقل خلال السنوات الأولى .. لأن ذلك قد يساعد بشكل غير مباشر فى الإيقاع بالعطفى فى حالة القبض على أحد تابعيه من قبل المخابرات المصرية .. أو أجهزة الأمن ..

انتهى برجمان من توضيح رؤيته .. وبدأ رئيس المخابرات الإسرائيلية يتحدث طالباً من رؤساء الأفرع الذين يحضرون الاجتماع التصويت على أمرٍ من اثنين .. إما رفض اقتراح برجمان .. أو الموافقة عليه .. لكن قاطعه أحد الحضور قائلاً

هناك العديد من الاستفسارات .. أوالتحفظات على ما أبداه السيد "برجمان" لابد أن نناقشها أولاً قبل أن يقول كل منا رأيه النهائي .. فدعا رئيس المخابرات الجميع بأن يطرحوا ما لديهم من استفسارات ..

من الألف .. إلى الياء ..

وعلى مدار أكثر من ساعتين تبارى كل قادة الأفرع الداخلية للموساد فى مناقشة كل صغيرة وكبيرة فيما يتعلق بالموضوع من الألف .. إلى الياء .. وفى النهاية تم التصويت بين أمرين .. إما استكمال العملية وفقاً للسيناريو الموضوع لها من البداية .. أو التغيير وفقاً للسيناريو الجديد الذى اقترحه "برجمان" .. وجاءت النتيجة لصالح السيناريو الجديد .. بفارق أصوات قليلة .. وتم منح "برجمان" كل الصلاحيات المطلوبة لإعداد وتجهيز عميله الجديد وفقاً للهدف الجديد للعملية .. وتصنيف العميل ضمن الفئة الأولى الخاصة جداً من بين عملاء الموساد .. من حيث الراتب أو الميزانية الكلية للعملية ..

ولم يضيع برجمان وقتاً .. حيث كان قد سبق له وأعد نماذج برامج التدريب الخاصة بالعميل وفقاً للسيناريو الجديد .. وسرعان ما حصل على الموافقة النهائية بشأنها .. وسافر على الفور إلى هولندا مرةً ثانية لبدء تجهيز العطفى للمهمة التى أطلق على ملفها فيما بعد "ملف المهمة المستحيلة" ..

العطفى يعود إلى مصر !!

كان العطفى قد عاد إلى مصر بعد انتهاء معسكره التدريبي الأول .. وهناك تسلم من مندوب آخر للموساد الأدوات التي تدرب عليها .. ومن المفروض أن يبدأ عمله بها ..

بينما عاد "برجمان" إلى هولندا سريعاً .. ومن هناك استقل القطار إلى الريف فى الشمال حيث اجتمع مع باقى فريق تدريب العطفى وسلم كل فرد من طاقم التدريب ملف المهام الخاصة به .. ولم ينس أن يشدد عليهم جميعاً ألا يعرف العطفى عند لقائهم به فيما بعد ما استجد من متغيرات .. دون أن يوضح لهم الهدف من التغيير امتثالاً لقرار القيادات العليا بالموساد بألا يعرف أحد على الإطلاق بهدف العملية الجديد حتى العطفى نفسه تحسباً لأي احتمالات .. وحتى لا يعتريه الخوف من استكمالها ..

وعلى مدار ستة شهور كاملة هى الفترة التى استغرقتها المرحلة الثانية من عملية التجهيز على فترات كان يذهب ويعود خلالها من وإلى مصر .. وحتى لا يثير غيابه الطويل أية شبهات .. كان يتم دعوته رسمياً من خلال بعض المستشفيات الخاصة هناك للعمل بها كخبير ومدرب علاج طبيعي فترات قليلة .. فقد كان العطفى .. ولفترة طويلة يتصور أن دوره كجاسوس ينحصر فقط فى أن ينقل للموساد أولاً بأول كل ما يترامى إلى سمعه من معلومات حول وضع مصر العسكري .. والاقتصادي.. والسياسي .. من خلال حواراته مع الشخصيات العامة .. والمؤثرة من أصدقائه المقربين في دوائر صنع القرارات في مصر ..

رواية أخري ..!!

وهناك رواية أخري ترجع بداية تجنيد العطفي لأوائل فترة الستينيات .. وتتزامن مع افتتاح فندق (هيلتون القاهرة) حيث تم إنشاء نادياً صحياً خاص بالفندق عند افتتاحه .. وتم تعيين العطفي به كمشرف عام على النادي الذي كان وقتها هو النادي الأول من نوعه .. وكان يحتوي على وحدات تدليك .. وحمامات ساونا ..

وبخار .. وبعض الأجهزة الرياضية .. وبدأ النادي يستقطب شخصيات لا حصر لها معظمهم من رجال المال والمجتمع والسياسة في مصر .. لذا كان زرع أي عميل مخابراتي داخل مثل هذا المكان سوف يأتي بنتائج مثمرة .. فعندما يخلع هؤلاء ثيابهم .. ويدغدغ البخار الساخن حواسهم .. وتغوص أصابع المدلك الحساسة في أجسادهم .. ويتنفسون عبقّ الاسترخاء .. تبحث عقولهم الواعية .. هى الأخرى عن لحظات استرخاء مماثلة .. يحصلون عليها عندما تبدأ ألسنتهم في الثرثرة بمنتهى الحرية لتفرغ مكبوت عقولهم الباطنة .. وغالباً ما تكون ثرثرتهم تلك هى أخطر من تصورهم .. وكثيراً ما تتجاوز العلامات الحمراء ..

وكان يدير المكان قبل العطفي مهندس ديكور يهودي من أصل مصري اسمه (سامي هراري) .. وأشارت تلك الرواية دون تأكيد أو نفي .. أن هذا المكان .. وهذا الشخص ربما جمعته علاقة ما بالمخابرات الإسرائيلية في ذلك الحين .. ومن خلال علاقته تلك بالعطفي تمكن الموساد من تجنيده .. بعد أن توسموا فيه المقدرة على أن يكون أذناً صاغيةً تنقل لهم كل ما يدور داخل المكان من محادثات تشكل إلى حد كبير الملامح السياسية .. والاقتصادية لمصر في ذلك التوقيت .. بما كان يتمتع به العطفي من كاريزما خاصة .. وذكاء .. وهدوء شديدين .. والأهم قدرته المتميزة على مد جسور الحوار مع الآخرين أياً كانت هويتهم ببراعة ومقدرة شديدتين ..

وأياً كانت الرواية الأصح من تلك الروايات .. فقد أصبح العطفي منذ بدء تعامله مع الموساد .. وبمرور الوقت شخصاً آخر غير الذى يعرفه الجميع نهائياً .. تغير فيه كل شيء بدءاً من مظهره الذي كان لا يعبأ به فيما مضي .. إلى شخصٍ مهندم تماماً يرتدى أفخم وأحدث الثياب .. ويتحدث بكل لباقة .. يبدو واثقاً من نفسه أشد الثقة.. كذلك أصبحت صوره وأنباء سفره وعودته تتصدر صفحات المجتمع بكافة الجرائد والمجلات ..

ومن يوم لآخر كان العطفى يفاجأ بدعوات من جامعات مصرية أخرى ليحاضر فيها عن تخصصه الحديث .. كما توالت عليه الدعوات من العديد من المؤتمرات العلمية والطبية للمشاركة بها .. وكان يفاجأ أيضاً بالعديد من الصحفيين من مختلف الصحف والجرائد المصرية والعربية .. بل وأحياناً العالمية يتصلون به لإجراء حوارات صحفية معه .. كان كل ذلك جزءاً من السيناريو الذى وضعه ضباط الموساد ببراعة شديدة لفرض اسم العطفى إعلامياً بشكل مكثف .. وتحول العطفي للرجل رقم واحد فى تخصصه بمصر ..

وفي زمنٍ وجيز زادت .. واتسعت بشكلٍ كبير دائرة علاقات ومعارف العطفي .. بعد أن استطاع استقطاب العديد من الشخصيات الهامة فى مصر وضمهم إلى دائرة صداقاته .. ومن خلال علاقته بهم ودردشته العادية معهم كان يستخلص الكثير من المعلومات ويرسلها أولاً بأول إلى الموساد عن طريق جهاز الإرسال اللاسلكي الصغير الذى كانوا قد أمدوه به .. وكان يقوم بتخبئته فى أحد الأماكن السرية ..

أشهر من نار على علم .. !!

فى نفس التوقيت كان يجرى العمل في مصر على قدمٍ وساق من أجل سرعة الانتهاء من بناء وتجهيز أول معهد عالى للتمريض لتخريج كوادر مدربة على أساس علمي جيد ومتميز للعمل فى هذا المجال الذى استشعرت مصر أهميته ومدى الحاجة إليه عقب انتهاء حربي (٥٦ و ٦٧) ومن بعدها حرب الاستنزاف ١٩٦٩.. حيث خلفت كل من تلك الحروب بالإضافة لحركات المقاومة الشعبية... الآلاف والمئات من مصابي العمليات الحربية الذين كانوا فى حاجة شديدة لإعادة تأهيلهم طبياً بواسطة العلاج الطبيعي .. وكان وقتها يتم تسفير هؤلاء لاستكمال علاجهم

بالخارج مما كان يكلف مصر أموالاً طائلة فاتخذت الحكومة المصرية قراراً بإنشاء المعهد العالي للعلاج الطبيعي ..

وعند الانتهاء من بناء المعهد وتجهيزه لبدء الدراسة به كان الدكتور على العطفى قد أصبح أشهر من نارٍ على علم ..

النقلة الأكبر في مسيرة العطفي !!

لكن لا أحد على وجه التحديد يعرف من تولى ترشيح العطفى ليكون ضمن طاقم الأطباء الخاص برئيس الجمهورية نفسه .. هل اللهث والتلميع الإعلامي الذي جعل الرجل دائماً في بؤرة الضوء .. أم كان هناك يدٌ خفية وراء ذلك الترشيح.. أم علاقته كما قلنا بكمال حسن علي .. وعثمانٍ أحمد عثمان ..وغيرهما من المقربين للغاية من الرئيس السادات وقتها .. عموماً فوجئ العطفى ذات يوم وبينما هو فى مكتبه بالمعهد بمن يخبره بأنه مطلوب على وجه السرعة للقاء رئيس ديوان عام رئاسة الجمهورية .. بعد أقل من ساعتين كان العطفى خارجاً من مكتب رئيس الديوان وهو لا يتخيل أنه أصبح أحد أطباء رئيس الجمهورية نفسه ..

وبدءاً من اليوم التالي كانت سيارة رئاسة الجمهورية تذهب إلى حيث يسكن العطفى بحي الزمالك .. لتذهب به إلى حيث يتواجد السادات بأيٍ من قصوره الرئاسية .. سواء قصر القبة .. أم عابدين .. أم الطاهرة .. ليبدأ ممارسة طقوس يومية من كشوفات عادية على جسد الرئيس .. ثم يقوم بتدليك جسده بعد ممارسته رياضة المشى اليومية التى كان يحرص عليها السادات .. ومن ثم كان يُوكل إليه أيضاً من خلال تخصصه الطبي متابعة الحالة الصحية لكل أفراد عائلة الرئيس.. وأصبح مقرباً للغاية من السادات .. وبدأ يدخل ويخرج على الرئيس فى منزله ومكتبه بحرية شديدة ..

وبعدها بدأ العطفى تكوين صداقات وعلاقات كانت لا شك على قدر كبير من الأهمية والخطورة بكل من يحيط بالرئيس مباشرة .. ويصفه سامي شرف بأنه كان صديقاً للسادات وأسرته وكمال حسن على وشخصيات أخرى ..

نجاح مؤقت !!

وكان ذلك يمثل قمة نجاحات الموساد طوال فترة صراعها المستمر مع الجانب المصري .. ومن خلال ذلك كان العطفي ينقل بدقة شديدة كل ما له علاقة .. أو يمت بصلة لصحة رئيس الجمهورية للمخابرات الإسرائيلية .. والأهم والأخطر كل ما يدور في أروقة قصر الرئاسة من أحداث .. وحوارات على كل الأصعدة والتى كانت تجري أمامه بمنتهى الاطمئنان لشخصه .. والأهم .. والأخطر .. بحسب ما ذكره في سجنه فيما بعد أنه كان على وشك اغتيال السادات عن طريق تسميم جسده بكريم تدليك خاص لا يترك عند استخدامه أثراً للمادة السمية الموجودة به في جسد المتوفى .. ولا كذلك التحاليل العادية التي تجري للرئيس من وقت لآخر .. وأنه كان على وشك تسلمه بالفعل من الموساد ..

مع وافر الاحترام ..

وعندما تمكن العطفي من أن يتبوأ تلك المكانة .. ويحظى بكل هذا القرب من الرئيس نفسه .. وأصبح من شخصيات المجتمع .. والدولة المعروفين .. واللامعين.. كان من الطبيعي أن تفتح له قاعة كبار الزوار في مطار القاهرة الدولي عند دخوله وخروجه .. وكان من العيب أن يتم تفتيش شنطه .. أو حتى فتحها .. بل كانت تسبقه دائماً محمولة بالنيابة عنه إلى سيارته التي تنتظره خارج بوابة المطار .. مع وافر

الاحترام .. والتبجيل لطبيب الرئيس الخاص من أكبر إلى أصغر رتبة في أمن المطار.. وكان العطفي بتحقيقه كل ذلك قد وصل لدرجة كبيرة من الثقة في كونه يستطيع أن يتحرك بسهولة تامة دون الشك في أمره .. سواء داخل مصر .. أم خارجها ..

الحرص المفقود ..!!

و بعد انتهاء مباحثات الكيلو ١٠١ وما أعقبها من توقيع اتفاقات فض الاشتباك بين مصر وإسرائيل .. أصبحت العلاقات بين الدولتين على خير ما يرام .. وبخصوصية أكثر عقب نجاح هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية وقتها في إتمام صفقة تم بموجبها تسليم إسرائيل جواسيسها المتواجدين في السجون المصرية .. حتى رفات جثامين بعض من تم إعدامهم من هؤلاء الجواسيس مثل (إلياهو حكيم) و (إلياهو تسوري) اللذين قاما نوفمبر عام ١٩٤٤ بقتل اللورد موين وتم إعدامهما بعد القبض عليهما فى نفس العام ..

ثقة لدرجة السذاجة ..!!

فبدأ العطفي يطمئن إلى عدم اكتشاف أمره .. فمن هذا الذي يشك في الطبيب الخاص برئيس الجمهورية .. لذا بدأ يتخلى عن حرصه الشديد والمعروف عنه في تنقلاته .. وتحركاته .. وبعد أن كان يطوف أرجاء القاهرة بسيارته لساعات طويلة.. ومن مكان لآخر .. من العتبة .. إلى الموسكى .. إلى الدراسة .. إلى مدينة نصر .. حتى أنه كان يذهب أحياناً إلى بعض المدن القريبة من القاهرة مثل بنها.. وقليوب.. وغيرها .. كل ذلك فقط من أجل إلقاء خطاب بأحد صناديق البريد .. وفي كل مرة يقوم بإلقاء الخطاب في صندوق مغاير للمرة السابقة ..

بدأ العطفي يلقي بالخطابات في أقرب صندوق بريد يقابله .. سواء عند منزله.. أم .. بجوار المعهد .. أم بجوار النادي الأهلي .. ولم يعد يقوم بجولته المعتادة بالسيارة..

وكان العطفي كثير السفر خارج مصر بحجة الدراسة .. والبحث وراء كل ما هو جديد في عالم الطب .. والعلاج الطبيعي .. وكان يحرص في معظم سفرياته على أن يملأ جواز سفره بتأشيرات لبلادٍ أخري غير التي زارها .. ويحرص أيضاً على ألا يحمل من البلاد التي زارها ما يدل عليها .. بل أنه كان كثيراً ما يسافر إلى بلد .. ويشيع قبل وبعد السفر أنه مسافر لبلدٍ آخر ..

لكن في أواخر الأيامِ قبل اكتشاف أمره تخلى عن كل ذلك .. وأصبح يسافر أو يعود من الخارج واضعاً في شنطة يده بلا اكتراث ما يدينه بالتجسس من أوراق وتقارير مخابراتية على درجة كبيرة من الخطورة ..

وكما كان حرص العطفي الشديد فيما مضى .. واهتمامه بأصغر وأدق التفاصيل.. هما أهم أسباب نجاحه والتعتيم على حقيقته لعدة سنوات متصلة .. كان بتخليه بلا مبرر عن كل ذلك هو السبب في اكتشاف أمره .. ويمكننا القول أن العطفي بسذاجته غير المبررة هو الذى أوقع نفسه .. بنفسه ..

يقظة المخابرات المصرية ..!!

ففي آخر زيارة له لأمستردام وصلت جرأته وهو الرجل الذى أصبح شخصية معروفة إلى الذهاب لمقر السفارة الإسرائيلية على قدميه أكثر من مرة .. دون أية احتياطات من جانبه .. وفي واحدةٍ من تلك الزيارات التقطته عيون المخابرات المصرية اليقظة هناك .. وتم تصويره بصحبة بعض رجال وعملاء الموساد .. وأرسلت

الصور إلى القاهرة .. ليتم إعداد المشهد الأخير في البحث عن ذلك الجاسوس الغامض الذى حير المخابرات المصرية منذ عام ١٩٧١ عندما التقطت ترداداتها اللاسلكية أول إشارة مشفرة أرسل بها الجاسوس الغامض إلى إسرائيل..

المخابرات المصرية تبحث عن جاسوس مجهول !!

فعلى مدار الشهور التسعة التي سبقت إلقاء القبض على العطفي تيقنت المخابرات المصرية من وجود جاسوس مجهول حار الجميع فى تحديد شخصيته ينقل للجانب الإسرائيلي أولاً بأول معلومات على قدر كبير من الخطورة تتعلق بصحة الرئيس شخصياً وبعض شؤون رئاسة الجمهورية .. ولم يكن هناك على الإطلاق أية معلومات تشير إليه ..

الجاسوس المجهول ..!!

وتحت عنوان (الجاسوس المجهول) كان هناك ملف .. لا يحوى سوى معلومة واحدة وهى "أنه يوجد جاسوس على مستوى عالى .. وقريب للغاية من غرفة صنع القرار السياسي فى مصر يبلغ إسرائيل أولاً بأول بكل الخطوات التى يخطوها الرئيس السادات نفسه بشكل دقيق للغاية".

وتسلم هذا الملف وقتها العميد محمد نسيم .. ذلك الرجل الذى سطر بعبقريته الفذة .. وإيمانه .. وإخلاصه الشديد بالله .. ثم وطنه .. ملف هذا الجاسوس المجهول.. فعلى الرغم من كل الكفاءات الأخرى المتواجدة بجهاز المخابرات

المصرية.. إلا أن الرجلَ كان من وجهة نظر كل قادته هو الأنسب .. والأكثر كفاءة للتعامل مع هذا الملف ..

وبدأت عملية البحث عن ذلك المجهول .. وتم وضع كل المقربين من رئاسة الجمهورية .. والرئيس شخصياً تحت المراقبة الشديدة فى كافة تحركاتهم داخل مصر وخارجها .. والبحث وراء كلٍ منهم .. لاستكشاف تاريخه الخاص .. وبحث كل علاقاته .. وكان بالطبع من بينهم العطفى الذى كان وقتها قد اقترب كثيراً وبصفة شخصية تماماً من الرئيس السادات وعائلته .. وبالطبع لم تكن أجهزة الأمن والمخابرات المصرية لتترك أى شخص يتمتع بهذا القرب الشديد من المؤسسة الرئاسية دون أن تبحث وتفتش وراءه ..

بداية الغيث ..!!

وجاءت تلك المعلومة الهامة القادمة من أمستردام لتلقي بأول حجر علي سطح الماء في بحر الشك الذي كان وقتها قد طال جميع المقربين من الرئيس السادات بطريقة أو بأخرى .. فتم إرسال ضابط مخابرات خاص إلى هولندا لمراجعة كل ما يتعلق بحياة العطفى وعلاقاته بأسرة زوجته .. ولأصدقائه .. ومعارفه هناك ..

وهنا في مصر كان لابد من التحقق من باقى المعلومات التى توافرت لرجال المخابرات المصرية حول العطفى .. وعلى مدار أيام عديدة متتالية لم ير خلالها العميد محمد نسيم هو ورجاله النوم .. اكتملت أوراق الملف .. وبتضييق نطاق البحث أكثر وأكثر اتضحت كافة جوانب الحقيقة ..

وتم اتخاذ قرار القبض على العطفى بسرعة شديدة .. حيث أن بقاء مثل هذا الرجل يمارس مهام عمله وقربه من رئيس الجمهورية شخصياً بالإضافة للعديد

من الشخصيات المهمة الأخرى هكذا بمنتهى الحرية إنما يحمل فى طياته إنذاراً دائماً ومستمراً بالخطر الداهم .. لكن كان لابد أولاً من عرض الملف على رئيس الجمهورية نفسه ..

مفاجأة كالصاعقة ..!!

صعق السادات وهو يسمع كل هذه التفاصيل من رئيس جهاز المخابرات المصرية الذى أصر على أن يعرض عليه الملف بنفسه ..وتساءل بحدة شديدة كيف يجرؤ هؤلاء على مجرد التفكير في تجنيد أحد أطبائي الخاصين .. وجاء الرد أكثر صدمة عندما أخبره رئيس المخابرات أن عملية تجنيد العطفى للأسف الشديد بدأت مبكراً قبل أن ينضم لطاقم أطباء الرئاسة ..

لذا بدا السادات من البداية غير مصدق للقصة برمتها .. وبدأ يتشكك فى صحة المعلومات التى جاءه بها رئيس المخابرات وطلب منه تحرى الدقة .. وعندما سأله من الضابط المسؤول عن متابعة الملف .. أجابه رئيس المخابرات أنه العميد (محمد نسيم) .. ساعتها أيقن السادات لفرط ثقته الشديدة في العميد نسيم.. أنه لا محل للشك إطلاقاً في ما يعرضه عليه الرجل من معلومات .. فقط ولحساسية الموضوع لأنه يمسه هو شخصياً .. أمر بإطلاعه أولاً بأول على كل التفاصيل التي من الممكن أن تستجد .. وأن يكون الموضوع برمته تحت إشرافه هو ومتابعته الشخصية مباشرةً.. كما أمر بإعطاء الملف صفة (شديد السرية) وهى أعلى درجات التصنيف المخابراتي .. وبعد غدة أيام قليلة صدرت الأوامر بإنهاء الملف والقبض على العطفي.

الخداع !!

وعلى الفور تم تكليف ضابط المخابرات المصري المتواجد في أمستردام بإحكام رقابته علي العطفي فترة وجوده هناك .. وضرورة ألا يشعر على الإطلاق بذلك حتى لا يهرب منه .. أو يلجأ للسفارة الإسرائيلية في هولندا .. وحتى لا تتدخل السلطات الهولندية في الأمر وتتحفظ على العطفي وتمتنع عن تسليمه لمصر حيث لم يكن هناك اتفاقيات تبادل متهمين بين مصر وهولندا في ذلك الوقت ..

وعندما توجه العطفي لمقر شركة مصر للطيران في أمستردام للحجز إيذاناً بعودته إلى مصر .. تلقى ضابط المخابرات المصرية تعليمات بأن يحجز هو الآخر للعودة على نفس الطائرة وعند وصولهما لمطار القاهرة يقوم على الفور بالقبض على العطفي ..

مفاجأة ..!!

أقلعت الطائرة من مطار أمستردام يوم ٢٢ مارس ١٩٧٩ وعلى متنها ضابط المخابرات .. وتأكد بنفسه قبل صعوده لسلم الطائرة أن اسم د.علي العطفي مدرجاً على قائمة الركاب الحاجزين .. وفي تمام الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء نفس اليوم هبطت الطائرة في مطار القاهرة .. قام ضابط المخابرات مسرعاً ليقف علي سلم النزول قبل أن يهبط منه أى شخص .. ليمسك بصيده الثمين .. اعترض طاقم الضيافة قبل فتح باب الطائرة .. اختل الضابط بقائد الطائرة وأخرج له تحقيق الشخصية .. وأطلعه على حقيقة مهمته .. دون أن يسمى له الشخص المطلوب.. أمر قائد الطائرة بعدم اعتراض ضابط المخابرات .. دقائق وجن جنون الضابط بعد أن نزل جميع الركاب وليس من بينهم العطفي .. هل تبخر؟ .. هل تلاشى ؟ .. فتش كل ركن من أركان الطائرة للبحث عنه .. فربما شعر

بوجود من يتعقبه .. أو تم تنبيهه بطريقة أو بأخرى .. لكن لم يكن للعطفى المدرج اسمه على قائمة الركاب أى وجود ..

كان هناك في نفس التوقيت مجموعة أخرى من ضباط المخابرات موزعون داخل أرجاء المطار ينتظرون وصول زميلهم وبصحبته صيدهم .. تقابل الجميع في أحد المكاتب التابعة للمخابرات المصرية في المطار .. وتم إبلاغ العميد محمد نسيم بالأمر.. فأجرى اتصالاً هاتفياً مضللاً ببيت العطفي تأكد من خلاله من وجوده في بيته .. وبمراجعة أسماء الداخلين لمصر على مدار اليومين السابقين تأكد أن العطفي وصل بالفعل إلى مصر راكباً طائرةً أخرى قبلها بـ ٤٨ ساعة .. وكان حجزه على الطائرة الأخرى مجرد عملية تمويه .. وتضليل احتياطية ثبت اعتياده القيام بها عند كل سفرية عمل يلتقي فيها بمسؤولي متابعته من الموساد .. فقد كان حريصاً للغاية .. وكان لابد من وضع خطة أخرى للقبض على العطفي ..

في بيت العطفي .. !!

دق جرس التليفون في منزل العطفي صباح اليوم التالي .. ذهبت الخادمة بالتليفون لسيدها الذي كان يتناول طعام الإفطار مع زوجته وولديه (شريف) الطالب بكلية الهندسة .. و(عمر) التلميذ بالشهادة الإعدادية .. أخبرته أن أحد الصحفيين يريد التحدث معه .. تناول العطفي سماعة التليفون من يدها .. وانتقل ليجلس على كرسي الصالون ليرد على المكالمة .. بينما كانت زوجته وولداه مستمرين في تناول طعام الإفطار وهم يتابعون المكالمة من بعيد ..

العطفي : آلو ..

الطرف الآخر : صباح الخير يا دكتور عطفي .. حمداً لله على السلامة ..

العطفي : مين معايا ؟

الطرف الآخر : عبد الحميد إبراهيم من مجلة آخر ساعة ..

العطفي : أهلاً وسهلاً .. أى خدمة

الطرف الآخر : أنا مكلف من المجلة بإجراء حوار صحفي مصور مع سعادتك بمناسبة رجوعك من الخارج .. نتكلم فيه عن آخر ما وصل إليه العلم فى مجال العلاج الطبيعي على مستوى العالم ..

العطفي : أهلاً وسهلاً بك في أى وقت .. بس إنت عارف أنا لسه راجع من السفر ومحتاج استريح يومين .. أو تلاتة على الأقل ..

الطرف الآخر : براحتك يا أفندم .. بس أنا عندي مشكلة صغيرة .. الحوار لازم ينتهي بسرعة علشان محجوز له مساحة كبير في العدد اللى هيصدر بعد يومين .. وده بتكليف خاص من رئيس التحرير نفسه .. يعنى الوقت ضيق .. ومش طمعان في أكتر من نصف ساعة من وقت سعادتك .. ولو تحب حضرتك ممكن أخلي رئيس التحرير يكلمك بنفسه ..

العطفي : المسألة مش مستاهلة .. تقدر حضرتك تشرفنى النهارده الساعة تسعة مساءً .. يناسبك الميعاد ده ..

الطرف الآخر : مناسب جداً يا أفندم .. تسعة بالدقيقة هكون عند سعادتك .. بس لينا رجاء هام وضروري جداً ..

العطفي: خير ..!!

الطرف الآخر: الكلب الوولف ..

العطفي: (يضحك) .. حاضر هاحبسه .. ما تخافش ..

الطرف الآخر: مش هاوصيك يا أفندم .. كل ما أقول لحد من زمايلى إني رايح أعمل حوار مع حضرتك يحذرني منه ..

العطفي : (مستمر في الضحك) لأ... خلاص .. قلت لك ما تخافش هاحبسهولك يا عم في المطبخ .. مبسوط .. يالاه مع السلامة ..

كان العطفي يحتفظ في منزله الذى فى الأساس كان عبارة عن شقتين متقابلتين تم فتحهما على بعضهما البعض بكلب من النوع (الوولف) ضخم الحجم بشكل مخيف .. من الممكن أن يفترس ثلاثة رجال في وقت واحد .. ربما كنوعٍ من الحماية في حالة حدوث أي هجوم من جهةٍ ما على الشقة ..

العطفي يتأكد ..!!

وضع العطفي السماعة مكانها .. ثم قام ليدخل غرفة مكتبه .. ويغلقها خلفه .. كان العطفي معتاداً على مثل هذه اللقاءات الصحفية على مدار السنوات الماضية جميعها .. لكنه أمسك بسماعة التليفون الموجود على مكتبه .. وأدار قرص التليفون.. طالباً مجلة آخر ساعة .. وعندما جاءه صوت عامل التليفون على الخط الآخر طلب منه أن يحدث الصحفي عبد الحميد إبراهيم .. طلب منه العامل الانتظار قليلاً ليحول الخط .. لحظات وجاءه صوت نسائي عرف منها أنها صحفية زميلة وأخبرته بأن زميلها نزل لتوه من المجلة بعد إجرائه مكالمة تليفونية مع أحد مصادره.. شكرها

وأخبرها أنه قريب له وسيعاود الاتصال به مرةً أخرى عندما يعود .. تأكد العطفي من وجود صحفي بهذا الاسم يعمل بالمجلة .. بقي الاتصال برئيس التحرير .. وضع العطفي سماعة التليفون مكانها .. ثم عاود الاتصال بنفس الرقم .. وطلب هذه المرة محادثة رئيس التحرير نفسه بعد أن أخبر عامل التليفون باسمه الحقيقي .. لحظات وكان معه على الجانب الآخر رئيس التحرير ..

رئيس التحرير : أهلاً .. وسهلاً دكتور عطفي .. إيه المفاجآت الجميلة دى .. كنت لسه في سيرتك حالاً ..

العطفي : خير ..

رئيس التحرير : أبداً .. مش عبد الحميد الصحفي اللي عندنا كلمك بخصوص الحوار ..

العطفي : إيوه ما هو ده الموضوع اللى كنت عايز أكلمك فيه ..

رئيس التحرير : إنت عالم كبير يا دكتور عطفي .. وإحنا نتشرف بيك على صفحات مجلتنا في كل وقت .. خاصةً إن القراء بيحبوا يتابعوا دايماً الجديد في تخصصك .. ومن خلالك أنت بالذات ..

العطفي : يعني ما ينفعش نأجل الحوار كام يوم ..

رئيس التحرير : صعب يا دكتور .. إحنا حجزنا له مساحة كبيرة خلاص العدد الجاي ..

العطفي: خلاص .. على بركة الله .. أنا منتظرهم .. في الميعاد .. أى أوامر .

رئيس التحرير : ألف شكر .. يا أفندم .. سلام ..

وضع العطفي سماعة التليفون وهو مطمئن تماماً .. وبدأ يجهز بعض الصور المطلوبة منه .. وبعض الأوراق استعداداً للقاء ..

لم يكن العطفي يدرك أن كل ما قام به كان متوقعاً من جانب المخابرات المصرية.. لذلك تم ترتيب كل شيء .. داخل مجلة آخر ساعة .. دون أن يشعر أحد.. بأى شيء..

الفصل الرابع

زوار الليل..!!

الفصل الرابع

زوار الليل .. !!

القاهرة ..

مساء يوم ٢٢ مارس ١٩٧٩ .. الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين ..

حي الزمالك .. أحد أرقى أحياء القاهرة ..

تم تأمين حي الزمالك بالكامل .. دون أن يشعر أى أحدٍ من السكان أوالمتواجدين بالحي بوجود أى شيء غير عادى .. ففي مثل هذه المواقف كل شيء وارد .. ولا بد أن يعمل ألف حساب لأي احتمال غير متوقع ..

وفي شارع بهجت باشا علي وتحديداً أمام العمارة رقم ٤ المكونة من ٦ طوابق .. المملوكة للدكتور علي العطفي .. والمعروفة بفخامتها ومناصب سكانها الحساسة .. توقفت بعض السيارات السوداء التى تحمل لوحاتها أرقاماً خاصة .. نزل من تلك السيارات بعض الرجال يرتدون ملابس مدنية .. صعد بعضهم لأعلى .. بينما انتشر الباقون فى كل مكان حول مداخل ومخارج العمارة ..

وفى الدور الأول .. وأمام إحدى الشقق تعلو بابها يافطة نحاسية صغيرة مكتوب عليها "أ.د/ على العطفى- أستاذ وعميد المعهد العالي للعلاج الطبيعى" .. وقف زوار المساء يدقون دق جرس الباب ..

كان د. على العطفى قد استعد للقاء ضيوفه .. ارتدى بدلة فخمة .. وأعد أوراقه بشكل مناسب .. وأخذ يغدو ويروح في غرفة مكتبه الكبيرة .. يقلب بأصابعه بين أرفف المكتب الضخمة التى كانت تحتوى على قرابة العشرة آلاف كتاب .. معظمها لم يفتحها العطفي .. فقد كانت بمثابة قطع من الديكور .. لم يدفع نقوداً فيها .. وجاء غالبيتها كهدايا ..

توجهت الخادمة لتفتح الباب .. أصطحبت الضيوف الذين كان عددهم يفوق كثيراً ما أخبرها به مخدومها من انتظاره .. لكنها لم تجد أمامها بداً من إفساح الطريق أمام الجميع بعد أن أخبرها العميد محمد نسيم بأنهم جميعاً على موعد مع دكتور عطفي .. استأذنتهم في الجلوس بالصالة حتى تخبر الدكتور .. أشار لها نسيم بأن تتقدمهم .. وأشار لباقي مرافقيه بالانتظار بالصالة.. وعندما فتحت باب غرفة المكتب كان وراءها نسيم والضابط المرافق له يقتحمون غرفة المكتب وسط اندهاش الخادمة التي لم تجد ما تفعله .. فوقفت في انتظار أوامر مخدومها .. الذي كان قد جلس على الكرسي وراء مكتبه بمجرد سماعه لجرس الباب ..ولم يشعر بوجود باقي الأفراد المتواجدين بالصالة .. متوقعاً أن الضيف القادم هو الصحفي الذي كان ينتظره .. لكن للوهلة الأولى وبمجرد دخول الضابطين .. وخصوصاً مع طريقة اقتحامهما غرفة المكتب بهذا الشكل .. قد توجس قلقاً وخوفاً .. في الوقت الذي حاول فيه بقدر الإمكان أن يبدو هادئاً تماماً .. فأمر الخادمة بالخروج من الغرفة .. فزاد ضابط المخابرات بأن أمرها بأن تغلق الباب خلفها .. ودون أن ينتظر الضابطان منه الاذن بذلك جلسا أمامه .. في الوقت الذي كان فيه باقي أفراد القوة قد انتشروا فى أرجاء المنزل الواسع .. ينتظرون أوامر مَنْ بالداخل .. وعندما أرادت الخادمة الذهاب لغرفة نوم سيدتها التي كانت في هذا التوقيت نائمة لتخبرها بما يحدث .. أمرها أحد الضباط بأن تجلس أمامهم في الصالة دون أن تتحرك..

ذهول .. ومراوغة ..!!

في غرفة المكتب .. ودون أن يطلب هو منهم ذلك أخرج له العميد محمد نسيم الذى أصرّ على أن يلقى بنفسه القبض عليه .. ورقة صغيرة عليها إذن بتفتيش الشقة والقبض عليه هو شخصياً لاتهامه بالتخابر مع دولة أجنبية .. ذهل العطفي .. ثم حاول أن يتماسك وهو يلقي بالورقة من يده على المكتب أمام ضابطي المخابرات وهو يقول لهما :

العطفي : أنا مش فاهم حاجة .. (ثم أخذ يضحك بصوتٍ عالٍ) العطفي جاسوس.. مش معقول .. أنت أكيد غلطان .. (بنبرة مليئة بالتهديد وهو يشير إلى الضابط بأصبعه محذراً) بس لاحظ .. إنت مش عارف أنت بتعمل إيه .. ولا أنا مين.

رد عليه نسيم وهو واثق تماماً ومتأكد من صحة إجراءاته :

نسيم : لأ .. أنا عارف كويس حضرتك مين .. ومتأكد أنا جاى ليه .. زى ما أنت نفسك عارف كويس قوى إن إحنا مش غلطانين ..

أونكل سادات ..!!

في هذه اللحظة كان باب الشقة قد فتح ودخل (شريف) الابن الأكبر لـ"على العطفي" ..الطالب بكلية الهندسة وقتها وزميل وصديق جمال السادات الابن الأكبر للرئيس السادات .. فوجئ بالمشهد .. وقبل أن يصدر منه أى رد فعل .. حاول أحد ضباط القوة إسكاته والسيطرة عليه فعلا صوته .. واستيقظت والدته .. وشقيقه الأصغر (عمر) .. وحدث هرج ومرج فخرج العميد نسيم لاستطلاع الأمر .. ولم

يشأ إخبارهم فجأة بحقيقة الأمر حتى لا يصدمهم .. واكتفى بقوله إنها إجراءات أمنية عادية .. لا تستدعى أى نوعٍ من القلق .. وطالب الجميع بالهدوء حتى ينتهى من جلسته الخاصة مع الدكتور عطفي .. والتقط العطفي منه خيط الكلام وحاول أن يهدئ من روع زوجته .. وولديه .. وقال: إنهم ضيوف سوف يجلس معهم قليلاً في غرفة المكتب ولا داعى للقلق .. فرد عليه ابنه الأكبر.

الابن: لو فيه حاجة يا بابا أكلم جمال السادات يبلغ أونكل السادات فوراً ..

فرد عليه نسيم قائلاً:

نسيم: الأمر لا يستحق كل هذا .. فقط اجلسوا في هدوء حتى ننتهى من جلستنا مع دكتور عطفي ..

امتثل أفراد الأسرة لأمر الضابط .. وجلسوا أماكنهم في الصالة .. بينما عاد الضابطان مصطحبين العطفي لغرفة المكتب وأغلقوها خلفهم..

السادات علي الخط ..!!

ومرة ثانية حاول العطفى أن يبدو متماسكاً قدر الإمكان .. وتظاهر أنه ما زال لا يعلم شيئاً مما يقصده الضابط .. وقال له :

العطفى : برضه مش عارف أنت عايز إيه ..

رد عليه نسيم عليه بهدوء أكثر ..

نسيم : دكتور عطفي أنت متهم بالتخابر مع دولة أجنبية .. وأنا جاى أنفذ أمر القبض عليك ..

صرخ العطفى فى وجه ضابط المخابرات قائلاً :

العطفي: إنتوا مش عارفين أنا مين ..

فرد عليه ضابط المخابرات المصري بهدوء قائلاً .

تانى .. لأ عارفين ومتأكدين كويس قوي كمان .. أنت الطبيب الخاص برئيس الجمهورية ..

اندفع العطفى غاضباً ليمسك بسماعة التليفون الموجود فوق مكتبه ليحاول الاتصال بالرقم الخاص بالسادات مباشرةً .. ابتسم ضابط المخابرات وهو يمسك سماعة التليفون من يده ليعيدها لمكانها مرةً ثانيةً وهو يقول له :

أولاً : اجراءت المخابرات لا يستطيع رئيس الجمهورية نفسه أن يوقفها أو يتدخل فيها ..

ثانياً : الرئيس على علم تام بكل ما نفعله .. ويجلس الآن شخصياً فى انتظار خبر القبض عليك .. (وأخرج له الصور التى التقطت له مؤخراً فى أمستردام مع ضباط الموساد ويريها له وهو يواصل كلامه) .. مش هى دى صورك يا دكتور عطفي.. ومش هو ده ضابط الموساد اللي بتشتغل معاه ..

أسقط فى يد العطفى .. وألقى بجسده الذى أصبح لا يتحمله على أقرب كرسي.. وهو منهار تماماً ..

واستطرد نسيم قائلاً له:.

وياريت تتعاون معانا .. وما تتعبناش .. وده علشان خاطر مصلحتك في المقام الأول .. والأخير .. إحنا عارفين عنك كل حاجة .. وبصراحة كنا متوقعين إن

أنت اللي هاتيجى لنا برجليك .. تحكى كل حاجة .. ساعتها كنت هتبقي بطل .. مش جاسوس وخاين .. عموماً الفرصة لسه قدامك .. وإحنا لغاية دلوقت .. بنعتبر نفسنا ضيوف .. وممكن كمان نعتبرك إنت اللي جيت وبلغت .. وده لعلمك ضرورة تقتضيها المصلحة العليا للبلاد .. إنت راجل مش قليل في البلد .. ولك وضعك .. دا أنت الطبيب الخاص برئيس الجمهورية نفسه يا راجل ..

رد ضابط المخابرات الآخر ..

لأ .. وصديقه الشخصي .. كمان ..

نسيم: يعني كلنا عايزين نساعدك ..

الضابط الآخر: بس بشرط تساعد أنت نفسك .. أولاً

العطفي : إزاى ؟

نسيم : مافيش غير حل واحد..

العطفي : إيه هو ؟

نسيم : نعرف كل حاجة .. من الألف .. للياء

العطفي : وأنا هقول كل حاجة .. بس قبل ما أتكلم عايز أقول لكم على حاجة مهمة قوى .. أنا كنت ناوى فعلاً أتوب تماماًعن تعاوني معهم الأسبوع الجاي ينظر كل من الضابطين للآخر .. ومن داخل كلٍ منهما تتفجر ضحكة مكتومة مليئة بالسخرية من سذاجة ما يقوله العطفي الذى يواصل كلامه قائلاً.

وسافرت أمستردام الأسبوع الماضي مخصوص علشان أبلغهم بقراري .. وكنت ناوى برضه أحج السنة دى .. وهناك بلغني ضابط المخابرات الإسرائيلي .. أن أنا

أقدر آخد أسرتى وأسافر بمعرفتهم لتل أبيب .. وأعيش هناك بحريتي وما فيش أى حد ها يعرف طريقي .. وأنا بقترح عليكم دلوقت أن الأمور تمشي على طبيعتها .. وأسافر هناك .. ومن هناك أقدر أخدم مصر .. وأكفر عن اللى فات ..

نسيم : اقتراح جميل .. ومقنع .. اتعاون معانا بقي علشان نقدر ننفذه ..

نصف الحقيقة ..!!

وابتلع العطفي الطعم .. وبدأ يحكي كل التفاصيل منذ اللحظة الأولى لتعاونه مع الموساد .. لكنه كان من الذكاء بحيث يمسك العصا من المنتصف .. يرضي ضباط المخابرات .. ويحكى لهم نصف الحقيقة فقط .. فلا يستطيعون أن يمسكوا دليلاً فعلياً عليه .. فحكى قصة وهمية عن سعي الموساد لتجنيده .. أثناء إحدي زياراته لأمستردام تعرف هناك على فتاة هولندية في أحد الملاهي الليلية .. وبعد فترة من تعرفه عليها فوجئ بها تدعوه ليتعرف على أحد أصدقائها وقدمته إليه على أنه تاجر يريد أن يشاركه في بعض المشاريع التجارية بمصر .. وفيما بعد عرف أن هذا الشخص أحد رجال المخابرات الإسرائيلية ..

وكان ضباط المخابرات يستمعون له بإصغاء ليطابقوا أقواله بما لديهم من معلومات .. ولأن أقواله كانت كلها مازالت في طور الأقوال المرسلة التى يسهل عليه فيما بعد إنكارها والادعاء بأنه اعترف بها تحت ضغط وتعذيب .. كان لابد من وجود أدلة مادية .. فتركوه يحكي كيفما شاء .. ثم سألوه عن وسائل اتصاله بالمخابرات الإسرائيلية .. فأخبرهم أن ذلك يتم عن طريق خطابات يرسلها بشفرة معينة على ورق كربون سري وخاص إلى بعض صناديق البريد في بعض العواصم العالمية ..

العطفي يشترط ..!!

وبدأت عندها أركان الاتهام المادي تتوالى أمام ضابطي المخابرات .. فطلبا منه أن يسلمهم هذه الأدوات .. فاشترط عليهم أن يعدوه أولاً بأنه لن يغادر بيته .. ومن جانبه سيعتبر نفسه محدد الإقامة لحين ترتيب موضوع عمالته لصالحهم .. فوافق الضابطان .. قام العطفي وأخرج من درج مكتبه بلوك نوت يبدو من الخارج دفتر أوراق عادي جداً .. مطبوع عليه (بادج) المعهد العالي للعلاج الطبيعي .. كان الدفتر كاملاً .. لم يكتب فيه .. أو تقطع منه أية أوراق .. ثم فرّ الورق .. وتوقف عند إحدى الأوراق الداخلية مكتوب عليها بقلم رصاص .. وبخط صغير جداً (بسم الله الرحمن الرحيم) .. وأشار إلى أن هذه الورقة هي ورقة الكربون التي كان يستخدمها .. ثم قام إلى المكتبة .. ومن بين عشرات الكتب مد يده إلي واحد منها .. وناولها للعميد محمد نسيم وقال له هذا هو كتاب الشفرة التي يستخدمها .. نادى العميد نسيم على أحد رجاله بالاسم من خارج الغرفة .. وعندما دخل الرجل ناوله البلوك نوت والكتاب .. أمسك بهما رجل المخابرات .. وجلس في أحد أركان الغرفة.. وأخرج ورقة وقلم .. وبعد لحظات أعطى للعميد نسيم البلوك نوت وهو يومئ برأسه بالموافقة .. ثم أخذ يقلب في صفحات الكتاب .. ويكتب بعض الملاحظات .. وبعد عدة دقائق .. مد يده إلى رئيسه بالكتاب مرةً ثانية وهو يومئ برأسه هذه المرة يمنة ويسرة .. ففهم نسيم الرسالة .. ونظر للعطفي نظرةً حادة وهو يقول له:

نسيم... يبدو أنك لا تريد التعاون معنا .. أين كتاب الشفرة الحقيقي .. ؟

العطفي يستسلم ..!!

عندها سلم العطفي تماماً .. وقام ليحضر الكتاب الصحيح من المكتبة الموجودة بالصالة .. حاولت الزوجة .. هى وولداها الحديث مع العطفي عند خروجه لإحضار الكتاب .. لكن منعهم أفراد القوة الذين صدرت لهم الأوامر من العميد نسيم بالبدء في تفتيش جميع غرف ومحتويات المنزل بهدوء .. وفي وجود ربة المنزل .. ودون الإضرار بأيٍ من محتوياته .. ثم عاد ومعه العطفي لغرفة المكتب ثانيةً .. حيث تم التأكد من أن الكتاب الذي أحضره هذه المرة هو الكتاب الصحيح ..

عندها لم تتمكن زوجة العطفى الهولندية من التماسك أكثر فاندفعت باتجاه غرفة المكتب لتقتحمها وهى تسأل الضابطين ..

أريد أن أعرف ماذا يحدث بالضبط في بيتي .. ومع زوجي .. هذا من حقي ..

ردّ عليها نسيم بهدوء شديد قائلاً :

دكتور عطفي متهم بالتجسس ضد وطنه ..

شهقت الزوجة المخدوعة شهقةً كبيرة.. حيث لم تكن تعرف من أمر زوجها شيئاً.. وفوجئت بهذه الصدمة .. فصرخت قائلة :

إمبيسبول .. نو .. نو .

نظر إليها ضابط المخابرات بثبات وهو يقول لها .

هى دى الحقيقة.

ثم رمى ببصره إلى العطفى قائلاً :

ولا إيه يا دكتور .

حاول العطفي تهدئة زوجته المنهارة تماماً .. واقترب منها وأخذ يربت على كتفها مؤكداً لها أن هناك لبثاً في الأمر .. صرخت في وجهه ودفعته بعيداً عنها .. وهى تنظر لضابط المخابرات .. وتعيد سؤاله :

هل هذه هى الحقيقة بالفعل كما تقول ؟

أو مأ لها نسيم برأسه بما يعن أنها بالفعل الحقيقة.

لمن كان يصلي ؟!

عندها هجمت الزوجة على زوجها .. ودفعته بكلتا يديها .. وهى تشير لعدد كبير من المصاحف مختلفة الأحجام .. والأنواع .. ولسجادة الصلاة التي كانت مازالت مفروشة في أحد أركان غرفة المكتب منذ أن صلي عليها العطفي صلاة العشاء في تلك الليلة .. بينما كانت تصرخ قائلة له.

وماذا كنت تفعل بكل تلك المصاحف .. ولمن كنت تصلي ؟

عندها تدخل ولداها والخادمة .. وبعض أفراد القوة لتهدئتها وإخراجها من الغرفة .. بينما انهار العطفي تماماً وجلس على الكرسي الموضوع أمام المكتب وهو يبكي بحرقة .

عشر ساعات قاسية ..!!

كانت الساعة وقتها قد بلغت السابعة صباحاً.. ومضت عشر ساعات كاملة على هذه المواجهة التي امتزجت فيها برودة آخر فصل الشتاء .. بلهيب وسخونة الموقف

على الجميع .. وعندها أمر العميد نسيم العطفي أن يقوم معه بهدوء للذهاب إلى مقر المخابرات .. ثار العطفي .. مذكراً ضابط المخابرات بوعده له بالبقاء في منزله.. كانت نظرة نهرٍ واحدة من عيني العميد نسيم كفيلة بأن تعيد العطفي لهدوئه صاغراً ورد عليه:

نسيم... الساعة الآن السابعة صباحاً.. ومازال هناك ساعتان على موعد نزولك المعتاد من منزلك .. وهذا الوقت كافٍ جداً لكي تأتي معنا لاستكمال بعض الإجراءات الروتينية .. ثم تعود لممارسة حياتك بشكل طبيعي ..

ونادى الضابط الآخر على بعض أفراد القوة التي كانت قد انتهت تماماً من تفتيش المنزل .. بينما أمسك به ضابطان آخران ليصطحباه مع باقى القوة لمغادرة المكان..

أشار العميد نسيم لإثنين آخرين من الضباط المرافقين له لمصاحبة زوجة العطفى وولديه لجمع ملابسهم من أعلى ومغادرة المكان بالكامل .. فقد أصبح المكان من هذه اللحظة تحت سيطرة رجال المخابرات المصرية ..

باقى القوة المرافقة لضباط المخابرات يصرفون السكان الذين تجمعوا على الأصوات الصاخبة التي كانت قد بدأت ترتفع من شقة العطفي الطبيب الخاص لرئيس الجمهورية الذي كان بالنسبة لهم صاحب العقار وأهم سكانه .. وذلك مع لحظات المواجهة الأخيرة .. فقد أصيبت زوجته بانهيار عصبي شديد .. وكان الموقف بالنسبة لولديه أكبر من تحملهما .. فعلت أصواتهم بالصراخ الشديد ..

دقائق وكان الجميع خارج الشقة .. العطفى يسير بين اثنين من الضباط مرتدياً بدلةً رمادية اللون .. بعد أن سمح له الضابط المسؤول بتغيير ملابسه .. تتبعه زوجته ومعها ولداها .. خلفهم باقى أفراد القوة بعضهم يحمل شنطتين "سمسونايت" بهما

بعض الأوراق والأشياء التى جمعوها من مكتب العطفى بمنزله .. الضابط المسؤول يضع بنفسه أحراز الشمع الأحمر على منزل العطفى .. ثم يغادر الجميع المكان ..

بعد فوات الأوان ..!!

فى سيارة المخابرات كان العطفى يضع وجهه بين يديه .. ربما خجلاً .. ربما ندماً.. لكن المؤكد أنه كان يعيش فى هذه اللحظة واقعاً لم يكن يتخيل أنه من الممكن أن يعيشه مطلقاً .. منذ تلك اللحظة المشؤومة عام ١٩٧٢ التى اعتبرها نقطة تحول فى حياته .. عندما وقع صك الخيانة مع مبعوث الموساد .. الذى تخيله مبعوث السماء الذى يملك عصا موسى ليحول بها حياته من الحضيض إلى أعالي المجد.. بينما كان حقيقته أنه مبعوث الشيطان الذى وصمه للأبد بالعار .. وألقى به إلى مزبلة التاريخ .. فى أشد بقاعها قذارةً وعفانةً .. بقعة الخيانة ..

العطفي يراوغ ثانيةً ..!!

كان هناك قوة أخرى تسبقهم إلى مقر المعهد العالي للعلاج الطبيعي .. الجميع يسأل دون أن يجدوا إجابة عن مغزى حضور هؤلاء للمعهد .. بعد لحظات توقفت سيارة المخابرات مرةً أخرى داخل أسوار المعهد .. فوجئ جميع الطلاب وموظفو المعهد وأعضاء هيئة التدريس بعميد المعهد ينزل من إحدى السيارات ليدخل عليهم بهذا الشكل .. وكأنه مقبوض عليه .. صعدوا جميعاً إلى حيث مكتبه الخاص .. دخلوا بالعطفى مباشرةً إلى غرفة المكتب .. قام ضباط المخابرات بتفتيش المكان بدقة شديدة حتى عثروا أخيراً على ضالتهم .. جهاز الإرسال اللاسلكي الحديث الذى كان

يخبئه العطفي بمكان سحري بمكتبته الخاصة .. وفيما بعد اكتشفت المعامل الفنية أن الجهاز ما هو إلا راديو حديث ومتقدم جداً .. وتحت ضغط جهات التحقيق عاد العطفي ليصحبهم إلى مكتبه بالمعهد مرة" أخرى ليحضر جهاز الإرسال الحقيقى .. فقد كان العطفي يدرك تماما" إن جهاز الإرسال هو دليل الإدانة الأول ضده .. وأقوى أدلة الاتهام الذي من الممكن أن يلف حول رقبته حبل المشنقة .. فتعمد أن يضع راديو حديث كان قد اشتراه من لندن في إحدي زياراته إلى هناك مكانٍ سريٍ آخر غير الذي كان يحتفظ فيه بالجهاز الحقيقي في المعهد .. وفي حالة اكتشاف أمره وإلقاء القبض عليه يقدمه بديلا" عن الجهاز الأصلي الذى كان يستخدمه فتنهار القضية ولا يثبت عليه الإتهام .. وبعد أن جمع ضباط المخابرات كل الأوراق الخاصة بالعطفى .. خرجوا جميعاً وأغلقوا المكتب بعد تشميعه هو الآخر ..

وبنفس الطريقة تم تفتيش مكتبه الخاص بالنادي الأهلي .. وكذلك شركة الاستيراد .. والتصدير التى كان يملكها وكتبها باسم شقيقه الأصغر الذى صرخ عند القبض عليه متبرئاً منه ومن فعلته قائلاً :

لقد جعل رؤوسنا جميعا" في التراب .. فلو كان مرتشيا" .. أو حتى قاتلا" .. لهان الأمر .. لكن ماذا نقول وهو جاسوس .. وخائن ؟!!

في مكتب رئيس المخابرات المصرية.. !!

كان رئيس المخابرات يتابع أولاً بأول خطوات عملية القبض على العطفى .. رجاله يتصلون به لاسلكياً باستمرار .. وبعد انتهاء العملية دخل عليه أسد المخابرات المصرية .. الرجل الذى قاد العملية بعد أن تمكن من حل طلاسمها كعادته ببراعة شديدة .. العميد "محمد نسيم" .. أدى الرجل التحية العسكرية لرئيسه .. وجلس على أقرب كرسي أمامه ليتنفس الصعداء للمرة الأولى منذ أن تسلم من قائده ملف هذا الجاسوس ..

فى استراحة رئيس الجمهورية.. !!

أمسك رئيس المخابرات بسماعة التليفون .. ثوانٍ معدودة وكان معه على الطرف الآخر الرئيس أنور السادات شخصياً .. أبلغه رئيس المخابرات بالنبأ الذى كان يجلس طوال الليل بانتظار سماعه .. التفاصيل... طلب السادات أن يسمعها شخصياً من "محمد نسيم" .. وأمرهما أن يحضرا فوراً إليه فى استراحته الرئاسية بالهرم ..

وأمام السادات حكى له "قلب الأسد" كل تفاصيل عملية القبض على طبيبه ومدلكه الخاص .. كانت كل ملامح وجه الرئيس السادات تكاد أن تنطق بالحسرة من فرط إحساسه الشديد بوقع وقسوة تلك الصدمة التي جاءته مغلفةً بثوب الخيانة من رجل كان من أقرب المقربين له هو شخصياً .. وكان يصفه بأنه رجل كفء ومخلص فى عمله ..

صمت .. وذهول .. !!

بمجرد القبض على العطفي .. ورغم التكتم الإعلامي الشديد على الموضوع لأسباب سيلي ذكرها في موضعها .. طار الخبر فوراً إلى إسرائيل .. حيث كانت الصدمة كبيرة .. وغير متوقعة.

وهناك .. وتحديداً فى مبنى القيادة العامة للمخابرات الإسرائيلية "الموساد".. كان هناك حالة عامة من الغليان وعدم التصديق تحيط بالجميع .. اجتماع على أعلى المستويات ضم رئيس الموساد نفسه .. وكافة قادة الأفرع الداخلية .. وفريق متابعة العطفى والضباط المسؤولون عن تدريبه والاتصال به .. الجميع أصابهم الخرس .. وتحول الاجتماع الذى كان فيما مضى يشغى دائماً بالأصوات العالية والمتناحرة .. إلى صمت مطبق .. فقد حط عليهم جميعاً "سهم الله" .. بعد أن أخرستهم تماماً المفاجأة .. فلم يجد أحد منهم ما يقوله .. وأصبح الأمر بالنسبة لهم مثل البكاء على اللبن المسكوب .. وكما بدأ الاجتماع .. انفض .. دون الوصول للإجابة عن السؤال الذى كان يتردد بينهم دون إجابة .. "كيف سقط العطفى ؟".. كيف كشفته المخابرات "المصرية ؟" ..

المستحيل الرابع .. !!

كانت الإجابة بالنسبة لهم فيما مضى بعد أن وصل عميلهم إلى ما وصل إليه من أهمية .. وقيمة في بلده .. وقربه الشديد من مؤسسة الرئاسة نفسها .. "أنه المستحيل الرابع" .. أما الآن فقد أصبح كل المستحيل بالنسبة لهم جميعاً أن يبقى واحد منهم فى موقعه .. فقرار الإقالة قادم حتماً .. والأكرم لهم جميعاً أن يتقدموا باستقالاتهم.

١٠٠٠ ورقة من الاعترافات..!!

الفصل الخامس

الفصل الخامس ..

١٠٠٠ ورقة من الاعترافات ..!!

عندما شاع خبر إلقاء القبض على العطفي تباينت ردود الفعل بين جميع من عرفوه عن قرب .. أو حتى تابعوه عن بعد .. أو قرأوا اسمه .. أو رأوا صورته مصادفة في جريدة .. أو مجلة .. أو جورنال ..

لكن اتفق الجميع على عدم تصديق ما سمعوه .. فكيف لهذا الرجل الذى عرف بتدينه الشديد .. وحرصه التام على أداء الصلاة في أوقاتها .. ويذهب كل يوم مبكرا إلى النادى الأهلي حيث يمكث هناك حتى يصلي الظهر ثم يعود إلى بيته.. وباقي فروض الصلاة موزعة حسب ظروف عمله ما بين المسجد الملحق بمعهد العلاج الطبيعي .. والمسجد القريب من منزله الذي كان يحرص أيضاً على أن يكون هو أول الذاهبين إليه في موعد الصلاة من كل جمعة .. كيف لرجلٍ هذه صفاته أن يكون خائناً .. وجاسوساً؟

هذا هو الواقع ..!!

لكن كان هذا هو الواقع .. حتى وإن رفضه الجميع .. حتى وإن استطاع أن يخدع العالم كله .. فقد جاءت اعترافاته هو لتؤكد كل ما لم يصدقه المخدوعون فيه .. وقال أحدهم وهو مسؤول على درجة عالية من الأهمية :

(سيبكم من حكاية جاسوس دى .. وقولوا لنا الراجل ده عمل إيه بالظبط ؟!)

وقال آخر في موقع أكثر أهمية من الأول :

(أنا أشك في أبنى .. ولا أشك في الدكتور علي العطفي).

بينما اعتزل شخص ثالث الحياة العامة كلية ً بعد القبض على العطفي الذى كان يعتبر هو أقرب أصدقائه وأكثرهم التصاقا ً به .. وبقى في بيته لمدة شهر كامل متوقعا ً أنه سيتم القبض عليه هو الآخر ..

يهوديا ً بالفطرة ..!!

أما أطرف تلك التعليقات فقد جاءت هى الأخرى من إحدى الشخصيات العامة كان على علاقة وثيقة بالعطفي .. عندما قال :

إن العطفي كان يهوديا ً بالفطرة .. وإن سر إعجابه الشديد باليهود .. هو سر حرصه وبخله الشديدين ..

وهو تعليق امتزجت فيه الصدمة بالسخرية من الصفتيان اللتيان كانتا تحديداً هما أكثر صفات العطفي استفزازا ً لكل من كان يعرفه عن قرب .. فقد ذكر عنه أنه كان شديد الحرص على اقتناء كل شيء .. وأي شيء .. مهما كان تافهاً .. فقد لاحظ كل من كان يرافقه للسفر للخارج أنه يحتفظ بكل ما يستطيع جمعه من أكياس الشاي .. والسكر .. والشوك .. والملاعق البلاستيكية .. التي توزع على ركاب الطائرات بالمجان .. وكان يحملها معه عند عودته لمصر .. ويحتفظ بها في أدراج مكتبه .. وذُكر في محاضر الضبط أنه بتفتيش أدراج مكاتبه الخاصة عُثر على العديد من تلك الأشياء .. ومن كثرتها تخيل القائمون على التفتيش أن لها علاقة

ما باستخداماته التجسسية .. فتم فحصها جميعها بعناية شديدة .. وفي النهاية ألقوا بها جميعاً في سلة المهملات .. لدرجة أنه عند فحصها وقعت إحدى الملاعق البلاستيكية وقبل أن يهم العطفي بالتقاطها تحرك مصادفةً ضابط التفتيش ودون قصد داس عليها فكسرها .. فصرخ العطفي يحذره .. ساعتها اندهش الجميع من رد فعله الغريب والتلقائي .. ورد عليه نفس الضابط قائلاً :

-أنت زعلان علي ملعقة بلاستيك انكسرت لأ .. ومش زعلان على وطن خنته.. وبعته بتراب الفلوس ..

فنكس العطفي رأسه في الأرض دون أن يرد.

لكل قاعدة استثناء ..!!

لكن العطفي الذى كان معروفاً عنه بخله وحرصه الشديد .. كسر القاعدة بشدة أثناء التحقيق معه .. وكان كريماً للغاية مع من تولى التحقيق معه.. فلُوحظ عليه أنه في اعترافاته كان كثير الكلام بإسهاب شديد طوال فترة التحقيقات .. وكان إذا بدأ الكلام لا يتوقف عنه أبداً .. وكثيراً ما تَطوّعَ من تلقاء نفسه للإدلاء بمعلومات وأشياء كانت بعيدة عن مجرى التحقيق .. وعندما سأل ذات مرة في ذلك وهو الشخص الذي عرف عنه طيلة حياته أنه قليل الكلام .. يتميز بالهدوء .. والرزانة.. قال (إنه كان في حالة ذهول تام ولا يدرى كيف يتصرف .. ولا ماذا يقول) ..

اتجاهان للتحقيق ..!!

وعلى مدار عشرين يوماً متواصلة من التحقيقات .. اعترف العطفى خلالها في ١٠٠٠ ورقة فلوسكاب اعترافاً كاملاً وتفصيلياً بكل شيء .. وفي البداية سارت التحقيقات لمدة عشرة أيام في اتجاه أن العطفي لم يعمل لحساب المخابرات الإسرائيلية إلا منذ عام ١٩٧٦ فقط .. لكن جاء تقرير المخابرات ليؤكد أن العطفي كان على اتصال بأجهزة المخابرات الإسرائيلية.. ويتبادل معها رسائل لاسلكية مشفرة بدءاً من عام ١٩٧٢ .. وتم الاستدلال علي ذلك بفحص جهاز الإرسال الحقيقي المضبوط في القضية ومطابقة نوع التردد المستخدم فيه .. والشفرة التي كان يستخدمها العطفي في مراسلاته مع تلك الرسائل المجهولة التى رصدتها أجهزة المتابعة اللاسلكية في نفس العام ولم يتم تحديد مصدرها آنذاك .. وعاد العطفي ليقرّ بالحقيقة التى تطابقت مع تقرير المخابرات المصرية في هذا الشأن ..

أحراز القضية ..!!

وكان من بين أحراز القضية المضبوطة أيضاً ما يلي :

١- عدسة تكبير تستخدم لعرض "الميكرو فيلم".

٢- كارت بوستال خاص به مكان حساس وسري للغاية يستخدم كمخبأ لدس شرائح الميكرو فيلم.

٣ - مفردات مرتب العطفي في الموساد.

كما أدلى العطفي باعترافات تفصيلية عن تعاملاته المالية مع الموساد قال فيها ما يلي :

١- إن أجره الشهري من المخابرات الإسرائيلية كان محدداً بـ ٢٠٠ دولار.

٢- كان يتقاضى ٧٠٠ دولار قيمة تذاكر السفر ذهاباً .. وعودة .. حال كل لقاء له مع ضباط الموساد خارج مصر .

٣- ١٠٠ دولار مصروف جيب عن كل رحلة .

٤- ٢٠ دولاراً بدل سفر عن كل يوم يقضيه في الخارج.

٥- مكافآت متنوعة القيمة حسب كل معلومة هامة يقدمها لهم .. أو كل عمل مميز يقوم به وفي كل مرة كان العطفي يتسلم مبالغ مالية كان يوقع على إيصالات استلام بتلك المبالغ .. وثبت من أقواله التي تضمنها ملف القضية أنه اشترى بتلك الأموال عقارات .. ومنقولات .. كتبها باسمه .. هو .. وزوجته .. وولديه عمر .. وشريف .

من رئيس الجمهورية .. لأصغر فراش ..!!

وعن علاقاته الخاصة قال أيضاً في التحقيقات :

(أنا كنت أعرف معظم الشخصيات في البلد .. من رئيس الجمهورية .. حتى أصغر فراش في النادى الأهلي) .

دكتوراه مزورة ..!!

ومن بين المعلومات التي تطوع من تلقاء نفسه للإدلاء بها .. هى تلك المعلومة التي كانت بمثابة المفاجأة التى أذهلت المحققين معه .. ولم يتوقعوها عندما أخبرهم

بأن شهادة الدكتوراه التى يحملها مزورة .. وأنه لم يناقشها من الأساس .. ولم يقم بإجراء أبحاثها .. بل إنه لا يحمل مؤهلاً عالياً من أصله ..

وكانت المخابرات المصرية قد تأكدت من ذلك بنفسها .. حيث أنه بمجرد دخوله دائرة الشك تم إرسال مجموعة من ضباط المخابرات للجامعة الأمريكية التى منحته الشهادة للتأكد من صحتها .. حيث ثبت أنه لا وجود لاسمه في كشوف ولا سجلات الحاصلين على الدكتوراه من تلك الجامعة .. أو أية جامعة أخرى .. أمريكية .. أو غير أمريكية .. كما ثبت أنه أثناء ترويجه لإشاعة إعداده للرسالة كان يلتقي ببعض الأساتذة في تخصصه من حينٍ لآخر لإعداده علمياً بالشكل الذي يتناسب مع باحث دكتوراه يعد لرسالته وتلقينه بعض المعلومات الطبية اللازمة والمتوازية مع أبحاثه التى كان من المفروض قيامه بها .. وذلك حتى لا ينكشف أمره داخل الوسط الأكاديمي.

الاتهام الرئيسي ..!!

لكن كل ذلك لم يكن أساس توجيه الاتهام في القضية .. فالاتهام الأساسي كان وبحسب حيثيات الحكم ومن واقع أوراق وملف القضية (أنه ثبت للمحكمة بما لا يدع مجالاً للشك أن المتهم علي خليل العطفي قد ارتكب جريمة التخابر مع دولة أجنبية. إسرائيل. للقيام بأعمال عدائية ضد جمهورية مصر العربية .. بأن أمدها بمعلومات لمعاونتها في عملياتها الحربية للإضرار بالعمليات الحربية لمصر.. وكان من شأن هذه المعلومات الإضرار بمركز مصر الحربي .. والسياسي .. والدبلوماسي.. والاقتصادى..).

فرض الحراسة ..!!

وأثناء سير التحقيقات .. وتحديداً في ٣ إبريل ١٩٧٩ أصدر المدعي العام الاشتراكي في مصر قراراً خاصاً بمنع علي العطفي .. وزوجته .. وأولاده القصر من التصرف في ممتلكاتهم أو إدارتها .. وتم حصرها .. وفرض الحراسة عليها .. واستند المدعي العام في قراره بثبوت تهمة التخابر على المذكور منذ منتصف عام ١٩٧٢ .. حتى ١٨ مارس عام ١٩٧٩ .. وأنه بذلك أتى أفعالاً من شأنها الإضرار بأمن الدولة في الداخل .. والخارج على السواء .. كما جاء أيضاً في القرار (أن التحقيقات أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أنه أفشى عن عمد أسراراً لدولة أجنبية. إسرائيل. خاصة بالدفاع عن البلاد المصرية بأن نقل أخباراً عن الأسلحة والذخائر.. والمهمات الخاصة بالقوات المسلحة .. كما قام بتسليم تلك الدولة رسوما وخرائط خاصة بالمصالح الحكومية على خلاف الحظر الصادر من السلطات المصرية المختصة وكان ذلك في زمن الحرب).

وبناءً على قرار المدعي العام الاشتراكي السابق تم تحويل العطفي لمحكمة القيم.. التى أصدرت حكمها في أول مارس ١٩٨١ بمصادرة أموال .. وممتلكات العطفي وأسرته لصالح الشعب .. في الدعوى التي حملت رقم ٧ لسنة ٩ (ق) .. وكان ذلك الحكم هو الحكم الأول من نوعه في تاريخ القضاء المصري(١) ..

ويجدر الإشارة إلى أن ثروة العطفي هو وأسرته وقت القبض عليه بلغت ٢ مليونى .. و٢٠٠ ألف .. و٥٩٢ جنيها .. و٤٨١ مليماً بحسب ما ذكرته أوراق القضية..

---

(١) انظر فصل الصور والملحقات.

المحاكمة ..

وعندما تم تقديم العطفي لمحكمة أمن الدولة العليا للمحاكمة في القضية التي حملت رقم ٤ لسنة ١٩٧٩ .. كان قد بلغ الثانية والخمسين من عمره .. وعلى مدار حوالي تسعة عشر جلسة تم استعراض ملف القضية .. والاستماع مرة ثانية لاعترافات المتهم .. واستجواب كل الشهود .. بعدها تحدد موعد نهائي للنطق بالحكم فى مارس ١٩٧٩ حيث صدر الحكم على العطفى بالإعدام شنقاً بتهمة الخيانة العظمى .

إعلان ..!!

وبعد صدور حكم المحكمة .. فاجأ الابن الأكبر للعطفي الجميع بنشره إعلاناً كبيراً مدفوع الأجر على نفقته الشخصية بإحدى الجرائد اليومية الكبري .. يتبرأ فيه هو وأسرته من والده .. ويستنكر خيانته.

السادات يرفض:

بعدها تم تخفيف الحكم للأشغال الشاقة المؤبدة .. ثم ١٥ عاماً فقط .. بقرار خاص من الرئيس السادات .. ورغم أن الرئيس السادات خفف الحكم عليه من الأشغال الشاقة المؤبدة .. إلى ١٥ سنة فقط .. فإنه في الوقت ذاته رفض الإفراج عنه أو مبادلته فى البداية .. حتى تحول العطفى لأكبر عثرة فى طريق مباحثات كامب ديفيد.

الفصل السادس

العطفي بين

الحقيقة والشائعات..!!

الفصل السادس

العطفي بين الحقيقة والشائعات .. !!

كان العطفي بلا شك على علاقة قوية بالرئيس السادات نفسه .. وأشار العطفي لذلك .. بل وأكد ذلك أكثر من مرة ضمن أقواله واعترافاته في القضية فقال بالحرف الواحد عندما سأله المحقق عن طبيعة العلاقة بينه وبين رئيس الجمهورية.. وهل كانت تدور فقط في الإطار الذي تحتمه طبيعة عمله :

بأنه كان صديقاً له .. وكان مسموحاً له بدخول حجرة نومه الخاصة .. وأنه هو الذي وضع بنفسه برنامجه الخاص بالعلاج الطبيعي .. كما أنه هو وزوجته الهولندية كانا على علاقة قوية بالسيدة جيهان 'السادات شخصياً .

كما أشار في نفس الفقرة إلى أنه كان كذلك على علاقة قوية بكل من كمال حسن على رئيس الوزراء .. وشقيقه الأكبر اللواء طلعت .. والفريق عبد المحسن مرتجي وزير الدفاع ورئيس النادي الأهلي السابق .. وعثمان أحمد عثمان .

وعلاقة على هذا النحو بين رئيس الجمهورية ومدلكه الذي يتعامل معه على أنه طبيب خاص له .. من الطبيعي أن تترك داخل السادات إحساساً بالخداع الشخصي.. ومع ما عرف عن السادات من اعتزازه الشديد بنفسه ومواقفه واختياراته الذي يصل به لحد النرجسية .. فكان لابد أن يكون للسادات رد فعل ما حيال الموقف ككل.. لكن المفاجأة أن السادات نظر للأمر ككل من زاوية أخرى لم يتوقعها أحد .. نظرة تعكس إلى حد كبير دهاء هذا الرجل السياسي المحنك ..

وتحول العطفي لديه من أكبر طعنة تلقاها في حياته .. إلى مجرد كارت يلاعب به الجانب الإسرائيلى وحكومته الذين كانوا قد بدأوا يجلسون معه وقتها على ترابيزة اجتماعات واحدة.. لبحث ترتيبات السلام في المنطقة .. تمهيداً لتوقيع اتفاق كامب ديفيد .. وتزامن ذلك مع اكتشاف أمر العطفي .. وبدأ السادات يستشعر قيمة وأهمية هذا الجاسوس الخطير بالنسبة للجانب الإسرائيلى.. فبدأ يعيد حساباته ليبحث كيفية الاستفادة منه إلى أقصى مدى ممكن .. فعندما أصدرت المحكمة حكمها عليه بالإعدام شنقاً أصدر هو أمراً خاصاً بتخفيف الحكم إلى ٢٥ عاماً .. ثم أعاد تخفيف الحكم إلى ١٥ عاماً فقط .. وكل ذلك كبالون اختبار يطلقه ليقيس به رد فعل الجانب الإسرائيلي .. وقد حدث ما توقعه .

بيجين يشترط الإفراج عن العطفى لتوقيع إتفاقية السلام

وعندما كان السادات يجلس بين رجاله من أعضاء الوفد المصرى.. وعلى الجانب الآخر أمامه مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلي هو ومستشاريه أيضاً لوضع البنود النهائية لاتفاق كامب ديفيد .. فوجئ السادات ببيجين يشترط عليه أن يتم تسليم على العطفى للسلطات الإسرائيلية كأحد أهم شروط الاتفاق.. وعندها مد السادات يده وتناول غليونه وبدأ يشعله على طريقته الشهيرة وهو ينظر لرئيس المخابرات المصاحب له فى الوفد المصري نظرة ذات مغزى[1] .. وفكر لبرهة بسيطة ونظره يتنقل بين الاثنين مناحم بيجين الذى كان ينتظر رده .. ورئيس المخابرات الذى ينتظر قراره الذي تم الاتفاق عليه مسبقاً حيث كان السادات كما قلنا يتوقع هذا الطلب من الجانب الإسرائيلي .. وعندها قال السادات لبيجين وهو

(١) كان رئيس المخابرات المصاحب للسادات وقتها هو السيد كمال حسن على... أحد الأشخاص الذين ارتبطوا بصداقة قوية مع العطفى دون أن يعرف حقيقته.

ينظر ثانية لرئيس المخابرات أن طلبه جاء متأخراً فقد تم بالفعل تنفيذ حكم الإعدام فى العطفى صباح نفس اليوم.

إعدام بالتليفون .. !!

ولحظتها استأذن رئيس المخابرات ليخرج من الاجتماع لأمرٍ ما .. وبمجرد خروجه قام بالاتصال بنائبه فى مصر وأمره بتنفيذ ما تم إبلاغه إياه من تعليمات تم ترتيبها من قبل بخصوص "علي العطفى" على الفور .. وكان الاتفاق أن يشاع داخل السجن الموجود به العطفي أنه تم إعدامه .. بعد أن يتم اصطحابه أمام كافة الموجدين بالسجن وكأنه ذاهب بالفعل لتنفيذ حكم الإعدام .. وهو ما تم بالفعل فى دقائق معدودة عاد على أثرها رئيس المخابرات ليرد على نظرة السادات السابقة له بنظرة أخرى كان مضمونها طمأنة الرئيس على سير الأمور بالصورة المحددة سلفاً.. وتحدث السادات ضاغطاً بكل قوته وحنكته ودهائه السياسي مستخدماً هذا الكارت ضد الجانب الإسرائيلي .. وقال السادات لبيجين :

كيف تزعمون أنكم تريدون السلام في الوقت الذي تجندون فيه طبيبي الخاص لاغتيالي أنا شخصياً .. ودلوقت بتشترطوا عليّ علشان توقعوا علي المعاهدة إنى أنا أسلمهولكم .

فرد عليه بيجين قائلاً :

سيادة الرئيس .. كان هذا رجاءً .. وليس شرطاً .. وعلى كل حال قد فات الأوان.. وتم إعدام الرجل ... ونحن الآن جاهزون للتوقيع ..

كان هذا هو ما حدث باختصار في هذه الجلسة المصيرية .. وتم للسادات ما أراد.. وتم توقيع المعاهدة بعد هذه الجلسة بوقتٍ قصير .

بيجين يكتشف الحقيقة ..!!

بعدها اكتشف بيجين والإسرائيليون الحقيقة بعد أن تعمد السادات تسريبها إليهم .. وفى الفترة الزمنية التى فصلت بين حكم المحكمة بالإعدام... ثم تخفيف السادات للحكم وفي مباحثات شرم الشيخ (١٩٨١) التى أعقبت توقيع المعاهدة .. كرر بيجين طلبه للسادات .. وهذه المرة بإلحاحٍ شديد .. فردّ عليه السادات بقوله مبدياً اندهاشه الشديد من طلبه .. إذ كيف يسمح لنفسه أن يفاوضه على استعادة جاسوس مصرى الجنسية كان من بين أهدافهم الرئيسية عند تجنيدهم له اغتياله هو شخصياً ..

والتحليل المنطقي لموقف السادات الذي كان من الواضح أنه تجاوز بمشاعره الإنسانية مرحلة الثأر لنفسه من رجلٍ خدعه وخانه بل كان يريد قتله عن طريق السم .. أنه كان يجهز العطفي الذى لم يعد يعنيه على المستوي الشخصي من قريبٍ أو بعيد ليكون المقابل في صفقة تبادل كبيرة كان يعد العدة لها .. لكن لم يمهل القدر السادات وتم اغتياله بعدها بفترةٍ وجيزة ..

بداية الشائعة .. !!

عموماً .. يبدو أن بيجين قد تلقى وعداً ما من السادات بتنفيذ طلبه بتسليم العطفي.. ولكي يمنع السادات من مراوغته والرجوع عن وعده .. سرب الخبر لإذاعة راديو لندن .. التي أذاعته بدورها باعتبار أن صفقة التبادل قد تمت بالفعل.. فاشتاط السادات غضباً .. واتصل على الفور بالكاتب الصحفي أنيس منصور الذي كان وقتها هو أقرب الصحفيين للسادات وكان يشغل آنذاك منصب رئيس تحرير مجلة أكتوبر .. وأمره بتكذيب الخبر .. وفي العدد الذى صدر بعد يومين فقط من

انطلاق الشائعة صدرت مجلة أكتوبر وبها تكذيب رسمي لما أذاعه راديو لندن .. وأكدت أن العطفي مازال في السجن حيث يقضي مدة عقوبته التي من المفروض أن تنتهي عام ١٩٩٤ .. ومع الخبر نشر للمرة الأولى والأخيرة الصورة الوحيدة المعروفة للعطفي .

إشاعة مطار فرانكو فورت :

ومن الشائعات الأخرى التي تم ترديدها دون سند من الحقيقة .. ما قيل من أن السادات أفرج عن على العطفى بعد سنتين طبقاً لاتفاقيه كامب ديفيد .. وفور وصوله إلى مطار فرانكفورت فى ألمانيا صرح على العطفى بتصريح خطير قال فيه " أنا الذى قتلت عبد الناصر بالسم" وهذا لم يحدث .. لسبب بسيط هو أن العطفي مات في السجن بالشكل الذى سيلى ذكره فى موضعه ولم يخرج منه إطلاقاً منذ لحظة إلقاء القبض عليه.

العطفي وشائعات أخرى .. !!

أرادت المخابرات الإسرائيلية أن تحول العطفي الذي وكما قلنا من قبل وصُف بأنه أكثر نجاحاتهم مع المخابرات المصرية لأسطورة .. فأشاعت عنه العديد من الشائعات التى كانت بلا سند .. ويسهل تفنيدها والرد عليها عند قراءة أوراق هذه القضية من مصادرها الصحيحة .. ويمكننا القول إن التعتيم الإعلامي من الجانب المصري والذي صاحب تفجر هذه القضية .. وأشرنا لأسبابه من قبل كان وراء تغلغل هذه الشائعات .. والترويج لها بشكل يكاد ألا يكون مسبوقاً في أية عملية مماثلة ..

وتحدثنا عن إشاعة اغتياله لعبد الناصر .. ثم الإفراج عنه ضمن صفقة تبادل أسرى وهمية بين مصر وإسرائيل لم تتم أصلاً .. وإشاعة إعدامه بالطريقة التى أشرنا إليها.. وكانت هذه المرة بتخطيط خاص من السادات بالنحو والكيفية المشار إليها ضمن الصفحات السابقة .. لكن كل تلك الشائعات كان لها جانب ما من الحقيقة تستند إليه .. أما ما سنتحدث عنه الآن من شائعات أخرى فهى كانت بلا أى سند من الحقيقة .

زوجته لم تكن عميلة للموساد ..!!

فقد قيل على سبيل المثال إنه تم تجنيده عن طريق زوجته التي وصفوها بأنها كانت يهودية عميلة لهم .. وأشاعوا أنها إيطالية اسمها "لوليتا" .. وليست هولندية.. وأنهم - أي الموساد - أرسلوا للعطفي الكريم المسمم الذي اغتال به عبد الناصر عن طريقها .. ولكن كل هذا كان من قبيل التشهير بالزوجة البريئة التي لم تكن تعرف عن طبيعة ما يفعله زوجها أي شيىء .. وبعد القبض عليه طلبت الطلاق بشكل رسمي.. وحكم لها به .. ثم رفضت مغادرة مصر .. وسلمت طائعةً كل ما كتبه العطفي باسمها للسلطات المصرية .. وعملت كمدرسة لغات بإحدي المدارس الأجنبية حتى تتمكن من مواصلة حياتها والإنفاق علي نفسها هي وأولادها.. ورفضت عرضاً قُدم لها بطريق غير مباشر من المخابرات الإسرائيلية للسفر والإقامة هى وولديها في تل أبيب .. ولعل هذا الرفض كان هو السبب وراء ترويج هذه الشائعات حولها من خلال المخابرات الإسرائيلية .. ويكفي أنها يوم قبض على زوجها أصيبت بانهيار عصبي حاد .. وتم نقلها للمستشفى حيث مكثت فترة من الزمن تعالج من أثر تلك الصدمة..

أخطر الشائعات ..!!

أما الشائعة الأخرى التى تولي الكتاب المشبوه الترويج لها فتقول إن العطفي كان طالباً متفوقاً في دراسته بمراحل التعليم الاعتيادية حتي حصل علي بكالريوس الطب .. ثم تم إرساله في إحدي البعثات التعليمية إلى موسكو .. وهناك انساق العطفى وراء نزواته وملذات الحياة التى عاش حياته كلها محروماً منها .. ثم فجأةً رآها تحيط به من كل جانب وسط كل انفتاحات الحياة الأوربية المعاصرة والمتحررة بلا قيود التى كانت تحيط به من كل مكان .. فأخذ ينهل منها بلا شبع .. ولا تمهل .. فأهمل تماماً محاضراته ودروسه ونسى الهدف الأساسي من سفره وهو الحصول على الدكتوراه ..

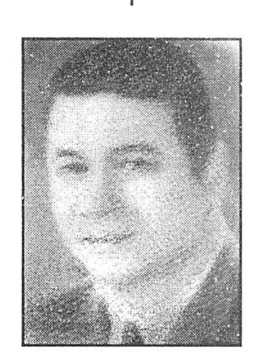
وبينما هو يعد نفسه ليوم الرجوع دون الحصول على الدكتوراه التي فشل في استكمال أبحاثها .. ويستعد للوظيفة الحتمية التى تنتظره فى مصر .. وهى ممارس عام بإحدى الوحدات الصحية فى قرية أو نجع من قرى ونجوع مصر المنتشرة بامتداد خريطة الدلتا .. وذات ليلة .. وحيثما تعود السهر كل يوم فى أحد بارات موسكو التى لا يرتادها إلا حثالة المجتمع الروسي .. فجأة .. وجد أمامه أحد الأشخاص .. الذي لم يكن سوى ضابط من الموساد كان يتابعه منذ فترة .. واستطاع تجنيده .. وعقد معه صفقة حصل بموجبها العطفي على شهادة دكتوراه مزورة مقابل تعاونه معهم.

وفاة العطفي ..!!

بدءاً من عام ١٩٨٢ .. تقدم العطفي بأكثر من طلب لرئيس الجمهورية لإصدار عفو صحي عنه بعد أن ساءت حالته الصحية وتدهورت أثناء سجنه بشكل كبير..

وأصبح مهدداً بالعمى .. لكن الرئيس المصري حسني مبارك رفض الموافقة على كل طلبات العفو الصحي التي كان قد تقدم بها .. وكان آخرها عام ١٩٨٧ .. واستسلم بعدها العطفي لقدره الحتمي .. والنهائي ومات ذليلاً في محبسه أول أبريل عام ١٩٩٠ .. ورفضت أسرته استلام جثمانه .. فتم دفنه في مقابر الصدقة بإحدى جبانات القاهرة .. لتنتهي للأبد أسطورة الرجل الذي وصف بأنه أكثر نجاحات الموساد ليس في صراعه الأبدي مع المخابرات المصرية فقط .. وإنما في كافة صراعاته مع كل أجهزة المخابرات الأخرى.

الملحقات





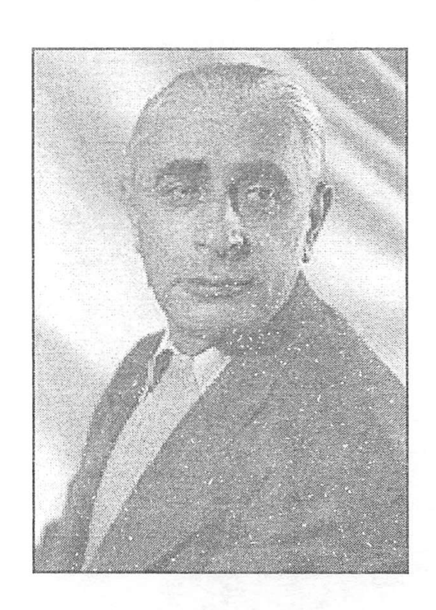
الصورة الوحيدة التي تم نشرها للعطفي
في الصحافة المصرية ..

صور عملاء المستوى الأول





رفعت الجمال .. أو رأفت الهجان .. أو جاك بيتون .. جميعها أسماء واحدة لبطل مصري لا ينسى ..





بنخاس لافون .. نائب وزير الدفاع الإسرائيلي في الخمسينيات .. ومؤسس شبكة لافون التى نسبت إليه في حوار خاص مع جولدا مائير..



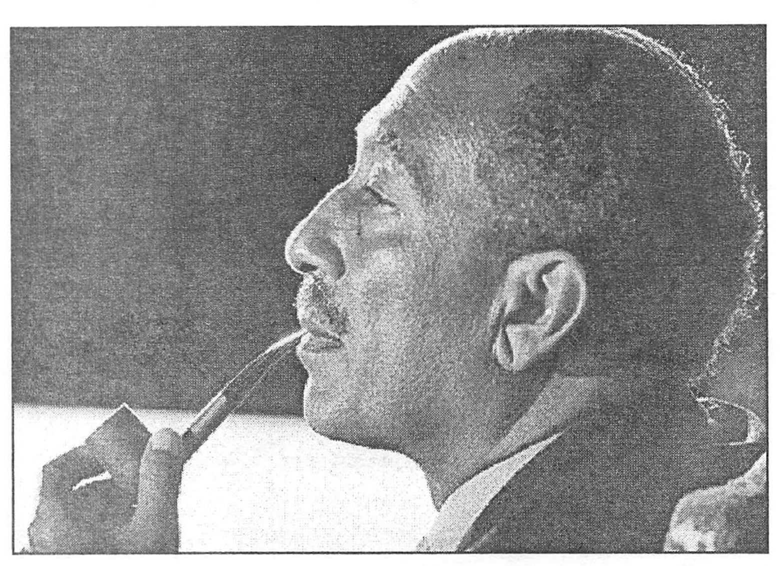
السادات يصغي لمناحم بيجين أثناء مفاوضات كامب ديفيد..
ترى هل كان يحدثه بشأن العطفي ؟!!



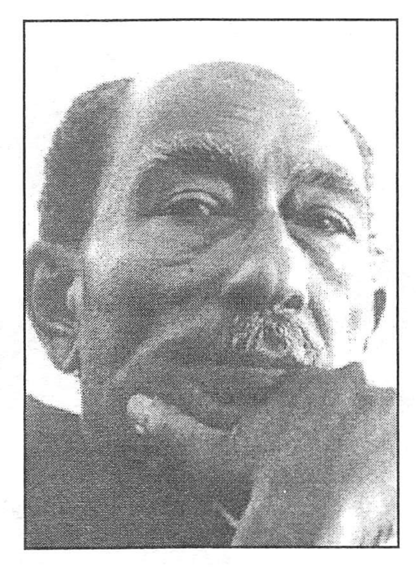
السادات في زيارته الشهيرة للقدس ..



السادات ومناحم بيجين أثناء مفاوضات كامب ديفيد .. سلام باليد .. وخيانة تصل لحد القتل ..!!



السادات بغليونه الشهير.. موقف تكرر أثناء مباحثات كامب ديفيد .. وكان في لحظة مماثلة يفكر ماذا يفعل في العطفي حتى لاتتوقف بسببه مباحثات السلام..!!



السادات في لحظة تفكير عميقة .. كان دائماً يعيشها قبل اتخاذ أي قرار..!!



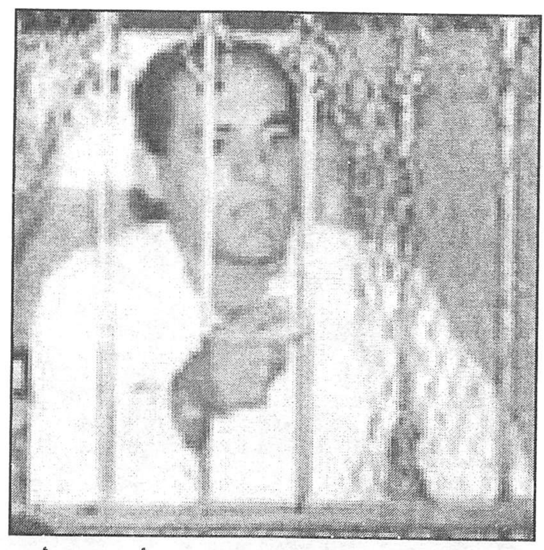
السيدة جيهان السادات.. ترى هل شَكّتَ في العطفي ولو للحظة واحدة وهى تستقبله هو وزوجته الهولندية في بيتها بكل ترحاب..!!



السادات يوم اغتياله الذي كان على وشك أن يكون بيد العطفي طبيبه الخاص لولا يقظة المخابرات المصرية ..

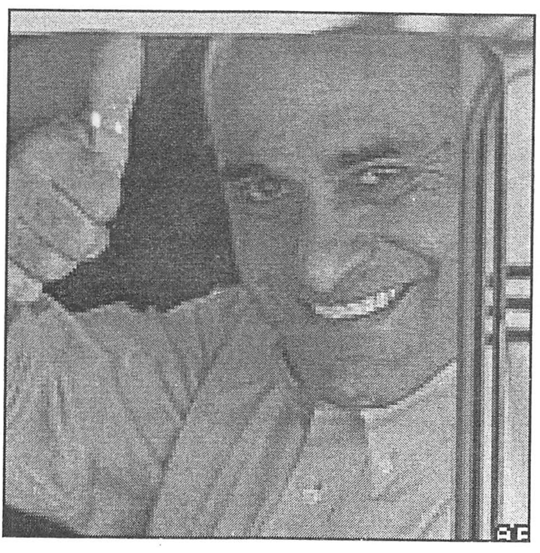


الزعيم الخالد جمال عبد الناصر .. عقدة إسرائيل عبر تاريخهم .. فشلوا معه حياً .. فادعوا بعد موته أنهم قتلوه بيد العطفي ..!!

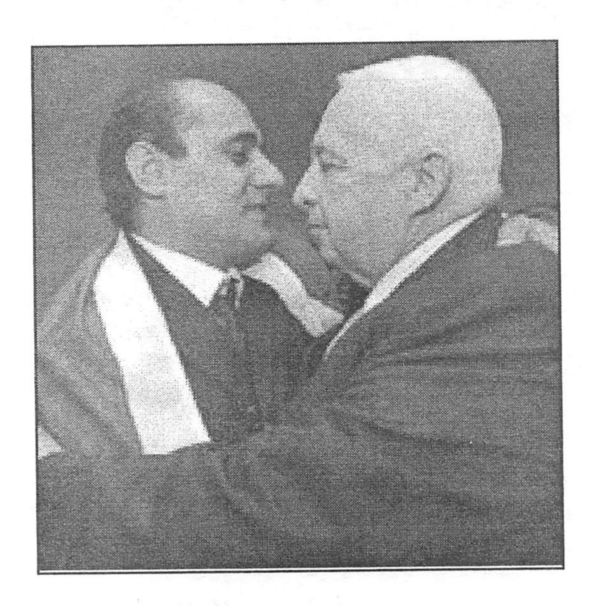


عـزام .. عـزام .. واحـد من أخطر وأهم جواسيس إسرائيل في مصر.

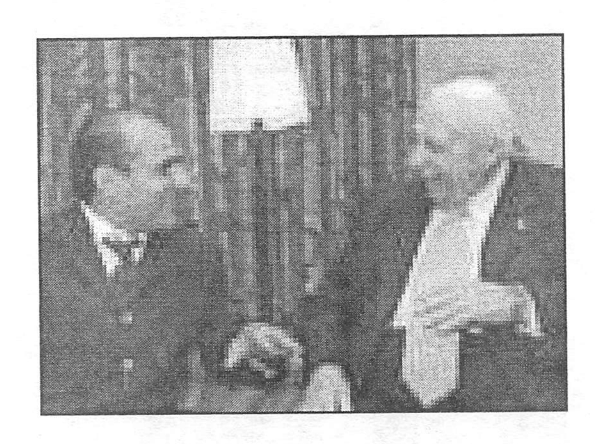
وراء الأسوار .. ينتظر مصيراً مجهولاً .. معلقاً بلحظة النطق بالحكم عليه !!

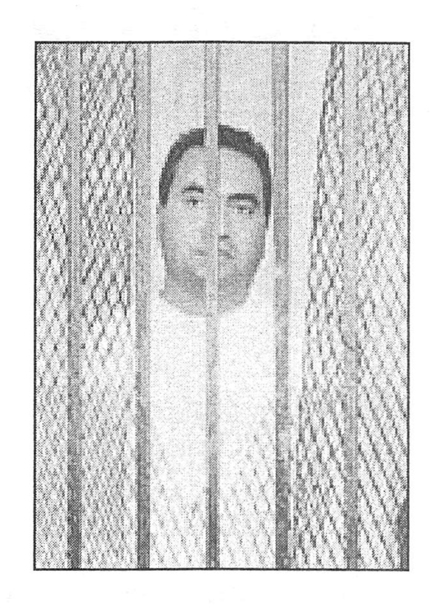


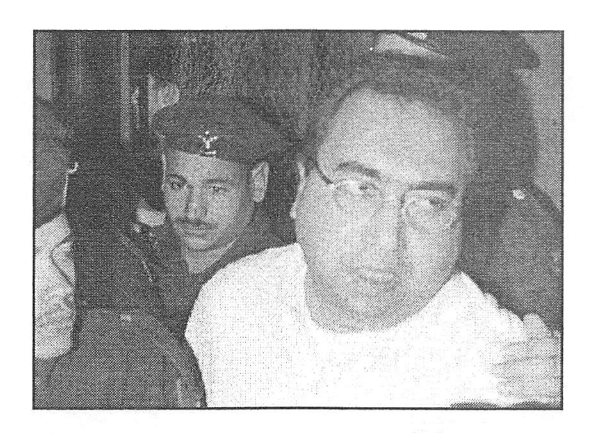
ولحظة عودته لتل أبيب يشير بعلامة الثقة !!



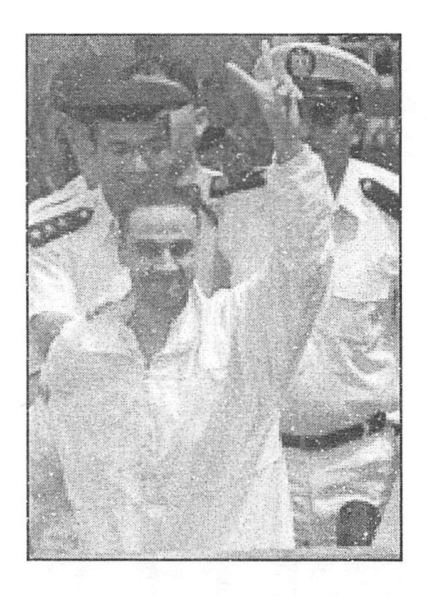
وبالأحضان شارون يستقبله في مقر رئاسة الوزراء ..!!



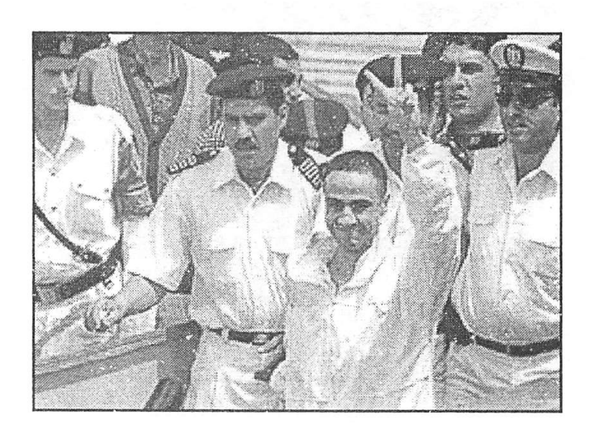




شريف الفلالي .. الجاسوس الذي برأه القضاء المصري .. وأعيدت محاكمته بأمر الرئيس حسني مبارك ..!!



عصام العطار.. الجد كان شيخاً للأزهر..
والحفيد خائن للوطن ..!!



ترى ماذا يقصد هذا الخائن.. ولمن يشير
بعلامة النصر !!

فهـرس الكتـاب

فهـرس الكتـاب

فهـرس الكتـاب